الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
République algérienne démocratique et populaire

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة عباس لغرور – خنشلة
كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية
قسم الفلسفة
الرقم التسلسلي: ...../ك.ع.إج.إن./2023

Ministère de l'Enseignement Supérieur
et de la Recherche Scientifique
Université Abbas Laghrour – Khenchela
Collège des sciences humaines et sociales
Département de philosophie

البعد الأخلاقي للفكر التربوي عند جون ديوي

مذكرة مكملة لنيل شهادة ماستر أكاديمي تخصص: فلسفة عامة

- إعداد الطلبة :
- فتحون سعيدة
- شيريفي دلال

- إشراف الدكتورة :
د/ مريم وفاء مداسي

أعضاء لجنة المناقشة :

الاسم واللقب	الرتبة	الجامعة	الصفة
زدك محمد أمين	أستاذ محاضر "أ"	جامعة خنشلة	رئيسا
مريم وفاء مداسي	أستاذ محاضر "أ"	جامعة خنشلة	مشرفا
مولف الطاهر	أستاذ مساعد "أ"	جامعة خنشلة	مناقشا

السنة الجامعية:2023/2022

إهداء

ليس في الوجود ما نصبوا إليه غير الرضا من المولى عز وجل والعافية في أمور الدين ، إلى الذين قال فيهما الرحمن:

(وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا)

سقطت مني الكلمات ولا تلألأت في عيني العبارات وباتت نفسي تهوى السكات ، كيف لي وصف أو مدح أو شكر من كان سبب كل مليح في الحياة ، من هما نور في الحياة وصراط بعد الممات.

أهدي ثمره جهدي إلى التي كتبت أسمائنا على مقلات عيونها إلى مصدر بهجتي ومنيرة دربي إلى التي علمتني التحدي وساعدتني لأقطف وردة الحياة إلى التي سقتني حبا مع كل صرخة غضب وكل لمسه حب أهديها عمري وكل جميل في حياتي وكل نبضة من هذا القلب إلـى **أمـي العظيمـة**

إلى الذي يقابلني بالإحسان ويغمرني بالأمان إلى القوه الروحية التي تدفعني إلى الأمام إلى رمز العطاء الذي لا يعرف عطائه الحدود وانتظر بصمت وشوق ثمره نجاح ولم يبخل علي جهدا أو مالا لتربيته وإنارة بصيرتي إلى الذي علمني أن نيل المطالب ليس بالتمني ولكن تؤخذ الدنيا غلابة إلـى **أبـي.**

إلى أغلى ما أملك إلى توائم روحي ورفقاء دربي إلى أصحاب القلوب الرقيقة والنفوس البريئة إخوتي الأحباء **"رفيق – بلال – جابر- علي- آية الرحمن- وزوجاتهم وأبنائهم".**

إلى من فرح قلبي وفؤادي **"زوجي وشريكي حياتي"**

وإلى أبنائي وفرحه عمري **"أنس - إيـاد - ميرال"**

إلى صديقاتي ورفيقات الدرب اللواتي لم أحس أنني غريبة ولا وحيدة بينهن **"دلال وسلمى"** إلى رمز الصحبة والإخلاص **السيدة المديرة " سميرة مراح"**

إلى الفريق التربوي لمؤسستي قليـل شعبـان

إلى كل الأهل والأقارب إلى كل من أحبوني وأحببتم بإخلاص ووفاء وكانوا أنبل ما في الوجود كل من وسعهم قلبي ونسيهم قلمي أنا لن أنساكم مدى الحياة.

سـعيـدة

إهداء

أهدي عملي هذا المتواضع إلى من كلله الله بالهيبة والوقار إلى من علمني العطاء بدون انتظار إلى من أحمل إسمه بكل افتخار **"والدي العزيز"** أرجو من الله أن يمده في عمره.

إلى التي رأني قلبها قبل عينها وحضنتني أحشائها قبل يديها إلى ملاكي في الحياة إلى معنى الحب والحنان والتفاني إلى بسمة الحياة وسر الوجود إلى من كان دعائها سر نجاح إلى قرة عين **"والدتي العزيزة"** رحمها الله برحمته الواسعة واسكنها فسيح جنانها .

إلى سندي ومسندي إلى زوجي الفاضل **"سمير"** واعترافا له بجميل صبره وطيبة خاطره .

إلى أغلي ما املك إلى شمس نهاري ونجوم ليلي إلى الدفع في البرد إلى أنسي في وحشتي وفي الغربة داري إلى قطعتي سكر حلت في حياتي ابنتي **"رتيل البيان وإيلا وجدان "**

إلى توائم روحي ورفقاء دربي إلى من أرى التفاؤل بعينهم والسعادة في ضحكتهم إلى أصحاب القلوب الرفيقة والنفوس البريئة إلى أعز من في قلبي **أخواتي وإخوتي**

إلى القريبين من القلب والداعمين والمساندين في السراء والضراء إلى من كانوا في سنوات العجاف سحبا ممطرة إلى **جد وجده بناتي**

إلى الأخوات اللواتي لم لتدهن أمي إلى من تحلين بالإخاء وتميزن بالوفاء والعطاء إلى ينابيع الصدق الصافي إلى من معهم سعدت بالرفقة في دروب الحياة الحلوة والحزينة

"سعيـدة" "سلمـى" "ميسـاء" "سميـة"

إلى من ساعدني في إعداد هذا البعد المتواضع

إلى كل من أحبه قلبي ولم تسعه صفحتي

إلى من لم تسع استطع ذكره في هذا المقام فإنه يبقى في ذاكرة الأيام

دلال

شكر وعرفان

كن عالما فإن لم تستطع فكن متعلما فإن لم تستطع فأحب العلماء فإن لم تستطع فلا تبغضهم.

بعد شكر الله سبحانه وتعالى على توفيقه لنا لإتمام هذا البحث المتواضع نتقدم بجزيل الشكر والعرفان إلى كل من أسهم في تقديم يد العون لإنجاز هذا العمل المتواضع، وأخص بالذكر الأستاذة الكريمة التي أشرفت على هذا البحث الدكتورة: **"مريم وفاء مداسي"** على توجيهاتها التي لا تقدر بثمن، والتي ساهمت بشكل كبير في إتمام واستكمال هذا العمل، فلها منا وافر الثناء وخالص الدعاء وجزيل الشكر.

وإلى الأستاذ الدكتور **"زدك محمد أمين"** الذي لن تكفيه حروف هذه المذكرة لإيفائه حق تعاونه الكبير معنا وتقديم المساعدة في كل الأوقات.

كما نتقدم بجزيل الشكر إلى كل أساتذتي قسم العلوم الاجتماعية شعبة الفلسفة الذين كانوا عونا لنا في بحثنا هذا ووزعوا التفاؤل في دربنا وقدموا لنا المساعدات والتسهيلات والمعلومات.

وكما أتوجه بخالص الشكر والتقدير إلى كل من ساعدنا من قريب أو من بعيد على إنجاز وإتمام هذا العمل.

عن منجزي المذكرة

مقدمـة:

إن التربية والتعليم هما جانب أساسي من جوانب الحياة البشرية، وذلك لأنه لا يتم تكوين الشخصية واكتساب تصورات عن الحياة وأساليب التفكير وطرق التصرف إلا عبر التربية. فالإنسان يولد باستعدادات وقدرات عند الولادة، ولكن التربية هي التي تشكل وتنمي هذه القدرات بشكل إيجابي أو تهملها فتموت. ويتفق الفلاسفة أيضًا على أن الهدف الأساسي للتربية هو تنمية الشخصية البشرية وتحقيق النجاح الأخلاقي والعملي.

كما تسعى فلسفة التربية إلى تحديد الأهداف والأساليب المراد تنفيذها في عملية التربية، مع ملاحظة أنها تتأثر باستمرار بالتحولات الاجتماعية والتقنية والسياسية. ولذلك فقد ظهرت العديد من المدارس الفلسفية المتخصصة في التربية وحاول كل منها رصد وتحليل الهويات الثقافية والاجتماعية والمعرفية للتلاميذ، وكذلك صياغة القيم والمعارف الخاصة بالتربية، أما عن الفلسفة الإصلاحية التي كان هدفها الرئيسي هو تحقيق تغيير ايجابي في المنظومة التعليمية ركزت على فكرة أن التربية يجب أن تكون موجهة نحو الأحداث العملية والحياتية، فهي فلسفة تعتبر التربية جزءًا أساسيًا من الحياة. وتهتم هذه الفلسفة بدراسة أهمية دور المعلم في تنشئة الشخصية الإنسانية وتمكين الطلاب من الحصول على المهارات والمعارف الضرورية لتحقيق النجاح في حياتهم الشخصية والمهنية ومن أهم المفكرين الذين أسهموا في تطوير مجال التربية تأتي إسهامات الفيلسوف الأمريكي جون ديوي، الذي يعد من أهم الفلاسفة الذين اهتموا بالأخلاق والتربية والتعليم في القرن العشرين.

ويهدف جون ديوي في فلسفته إلى تكوين شخصية الفرد من خلال إيجاد اتجاهات أخلاقية وقيم تتناسب والحياة التي يعيشها الإنسان في العصر الراهن، وعلى ذلك كان له تصوره الخاص للأخلاق والتربية والتعليم حتى تتم عملية تحسين مستوى الحياة الإنسانية.وفي الصفحات القادمة سنحاول تقديم طرح متسق حول ما جاء به جون ديوي من تصور خاص ومتميز عن الجانب الأخلاقي في فلسفته التربوية.

- **الإشكالية :**

إذا كان جون ديوي واحدا من أهم الفلاسفة والمفكرين في تاريخ البشرية وذلك لما أسهمت به فلسفته التربوية في عدة مجالات، فإلى أي حد ساهمت فلسفته التربوية في التأسيس لبعد أخلاقي انتهى بمشروع فعلي عملي؟ وكيف يمكن للأخلاق أن تجد لها مكانة في وسط الفكر البرغماتي؟

وللإجابة عن هذه الاشكالية نحاول الإجابة عنها بثلاث مشكلات فرعية :

- إلى أي مدى ساهم جون ديوي في تحويل التربية من مجرد مفهوم إلى نظرية فلسفية؟
- وما هي الأسس التي استند عليها في وضع فلسفته التربوية ؟
- وهل بالفعل استند ديوي إلى مبادئ أخلاقية في فلسفته التربوية، وأين تظهر تطبيقاتها وأثارها التربوية؟

- **منهج البحث**

ومن اجل معالجة هذه الإشكالية وما تحتويه من مشكلات فرعية اعتمدنا على مجموعة من **المناهج** نذكر منها **المنهج التاريخي** وذلك بغية معرفة تاريخ التربية وتطورها عبر العصور بداية من التربية عند الإنسان البدائي وصولا إلى التربية عند الإنسان الحديث واستعراض بعض النظريات التربوية وأهم أراء الفلاسفة فيها وهذا لتتبع مسارها الزمني لتكون لها صورة تاريخية واضحة المعالم.

اعتمدنا أيضا على **المنهج التحليلي** لتحليل الأفكار التربوية التي قدمها **جون ديوي** وأهم المبادئ والأسس التي تنبني عليها، وهذا من أجل الوصول إلى فهم عميق لفلسفة التربية عند ديوي وخاصة في بعدها الأخلاقي.

وكذلك اعتمدنا في النهاية على **المنهج النقدي** وهذا من خلال استعراض بعض الانتقادات التي وجهت إلى فلسفة **جون ديوي** التربوية وتوجهها الأخلاقي.

♦ أسباب اختيار الموضوع

أما عن أسباب اختيارنا لهذا الموضوع هو أن اختياره لم يكن أليا ولا صدفة بل هناك مجموعة من الأسباب وراء اختياره نذكر منها ما يلي:

الأسباب الذاتية:

اهتمامنا الشخصي بالتربية وخصوصا عند **جون ديوي** كوننا كأستاذتين في مجال التربية والتعليم فرضت طبيعة المهنة علينا التعرف على مختلف الفلسفات في مجال التربية وعلى رأسها فلسفة التربية عند الفيلسوف **جون ديوي** .

أما **الأسباب الموضوعية:** فتمثلت فيما يلي: هو اهتمامنا بفلسفة التربية وخصوصا عند الفيلسوف الأمريكي **البراغماتي جون ديوي** انطلاقا مما قدمه بغرض الوصول إلى بلورة فكرة متكاملة حول فلسفته التربوية وتوجهه الأخلاقي لتوضيح الجانب المعرفي والعلم في مجال الفلسفات المعاصرة ولتكوين أرضية واسعة حول تأثير فكر ديوي التربوي في توجيهه التربية الإنسانية.

♦ الهدف من الموضوع

تكمن أهميه هذه الدراسة من حيث كونها تبين أهم المرتكزات والأفكار والمبادئ التي قامت عليها فلسفة **جون ديوي** التربوية هذه الفلسفة التي لاقت نجاحا لدى المجتمع الأمريكي وأفكاره التي جعلت هذا المجتمع مجتمعا واعيا ومثقفا.

تسليط الضوء على التوجه الأخلاقي لفلسفته في ميدان التربية خاصة وأن التربية ملازمة للإنسان لتنظيم سلوكه الأخلاقي بالخصوص، وأن هذا الموضوع لم يحظى برعاية الباحثين كما ينبغي على حد علمنا.

♦ خطة البحث

ومن هذا المنطلق اعتمدنا الخطة التالية في تقسيم هذا البحث الموالي مقدمة وخاتمة وبينهما ثلاثة فصول.

فالمقدمة عبارة عن تمهيد عام وتعريف بموضوع دراستنا وما جاء به الفيلسوف الأمريكي **جون ديوي** في ميدان التربية والأخلاق وطرحنا فيها إشكالية جوهرية ثم عرضنا بعد التساؤلات الممكنة.

أما **الفصل الأول** كان بعنوان **من التربية كمقصود إلى نظرية فلسفية** تضمن مدخل مفاهيم للتربية من مدلولها اللغوي والاصطلاحي واشتمل على ثلاث مباحث:

المبحث الأول بعنوان: **كرونولوجيا التربية** وتضمنت ثلاثة مطالب : المطلب الأول بعنوان التربية وأهدافها في المجتمعات البدائية، والمطلب الثاني بعنوان التربية وأهدافها في التاريخ الثقافات التاريخية الأولى، يليه المطلب الثالث التربية وأهدافها في الثقافة اليونانية القديمة والمطلب الرابع بعنوان التربية وأهدافها في العصر الوسيط عند المسيحيين وعند العرب قبل الإسلام وفي عهد الإسلام.

أما **المبحث الثاني** فكان بعنوان **التربية من منظور فلسفي** فتطرقنا فيه إلى أهم الفلسفات المدارس التي تناولت التربية وأهم الفلاسفة كما أدرجت ضمنه خمس مطالب:

المطلب الأول الفلسفة المثالية أفلاطون أنموذجا، والمطلب الثاني الفلسفة الواقعية جون لوك أنموذجا، والمطلب الثالث الفلسفة الطبيعية جون جاك روسو أنموذجا، أما المطلب الرابع الفلسفة الوجودية جون بول سارتر أنموذجا، وأخيرا المطلب الخامس الفلسفة البراغماتيه عند جون ديوي وهو الفيلسوف الذي اعتمدناه بالدراسة.

لنمر إلى **الفصل الثاني** بعنوان **أسس التربية الديوية** اندرجت تحت ثلاث مباحث: **المبحث الأول** بعنوان **التوجه الفكري عند ديوي** تضمن مطالبين وهي: المطلب الأول النظرية الداروينية، والمطلب الثاني النظرية السيكولوجية .

أما المبحث الثاني بعنوان: **مباحث ديوي التربوية** وهي ثلاثة أدرجت في المطالب التالية:
المطلب الأول الكون ويليه المطلب الثاني الإنسان وأخيرا المطلب الثالث المعرفة .

المبحث الثالث بعنوان **مبادئ ديوي التربوية** تضمن مطلبين وهما: المطلب الأول الخبرة بنوعيها الاستمرار والتفاعل والمطلب الثاني الحرية.

الفصل الثالث والأخير بعنوان **الأخلاق في فلسفة ديوي التربوية** المتكون من ثلاث مباحث
المبحث الأول بعنوان **التأسيس الأخلاقي للفلسفة التربوية** تضمن مطلبين وهما: المطلب الأول مفهوم الأخلاق ، **و**المطلب الثاني أهم التصورات الفلسفية للأخلاق وموقف ديوي منها.

أما **المبحث الثاني** بعنوان **الأخلاق الديوية** تضمن ثلاث مطالب ألا وهي: المطلب الأول طبيعة القيمة الأخلاقية، يليه المطلب الثاني الأخلاق الاجتماعية وأخيرا المطلب الثالث الأخلاق المدرسية.

وبالنسبة **للمبحث الثالث أهم الانتقادات والامتدادات لفلسفة جون ديوي والتربوية الأخلاقية** تضمن مطلبين: المطلب الأول أهم الانتقادات لفلسفة جون ديوي التربوية وتوجهها الأخلاقي، ويليه المطلب الثاني بعنوان امتدادات فلسفه جون ديوي التربوية وتوجهها الأخلاقي.

- **الدراسات السابقة**

إن الاطلاع على الأبحاث والدراسات السابقة يعتبر من أهم المراحل في البحث العلمي من أجل الإطلاع على المساهمات السابقة في موضوع الدراسة وقد تم الإطلاع على بعض الدراسات يمكن نذكر منها:

1. مذكرة ماجستير بعنوان الأخلاق عند جون ديوي من إعداد الطالبة زاهية مناصري وتحت إشراف الدكتور عبد المجيد دهوم ، جامعة الجزائر.

- **الصعوبات والعوائق التي واجهت البحث**

كأي بحث أكاديمي لابد أن يواجه صعوبات أثناء بحثه العلمي مما يتحتم عليه مضاعفة الجهد والوقت للإحاطة بالموضوع من كل الجوانب .

ومن بين هذه الصعوبات أن جل المصادر والمراجع تعالج موضوع فلسفة التربية عند جون ديوي بدون ذكر توجه الأخلاق مباشره في ميدان التربية .

ومع هذا فلنا أمل كبير في أن يكون لهذا العمل مساهمة في إثراء الدراسات الفلسفية السابقة في مجال التربية وأن يكون عرضا شاملا لمعنى الأخلاق في فلسفة جون ديوي التربوية.

بالرغم من صعوبة أسلوب الفيلسوف جون ديوي في عرض أفكاره وتناثر أفكاره في أغلب كتاباته وأعماله وهذا ما جعل فلسفته تتعرض لسوء الفهم من طرف الباحثين والنقاد.

إلى أن أسلوبه بالمقابل يتسم بالجدية والنظر إلى المشكلات من كل الجوانب ومن منظور جديد معايش للعصر الذي نحياه الآن، خاصة تأكيده على ضرورة فهم الطبيعة الإنسانية والدعوة إلى التكيف والاتصال أكثر مع البيئة وهذا ما نحن بحاجة إليه في حياتنا اليومية والعملية.

الفصل الأول

من التربية كمقصود إلى نظرية فلسفية

❖ **مدخل مفاهيمي**

1. المدلول اللغوي للتربية
2. المدلول الاصطلاحي للتربية

❖ **المبحث الأول : كرونولوجيا التربية**

- المطلب الأول : التربية وأهدافها في المجتمعات البدائية
- المطلب الثاني : التربية وأهدافها في الثقافات التاريخية الأولى (الصين أنموذجا)
- المطلب الثالث : التربية وأهدافها في العصر الوسيط

أ- التربية عند المسيحيين

ب- التربية عند العرب (قبل الإسلام وفي عهد الإسلام)

❖ **المبحث الثاني : التربية من منظور فلسفي**

- المطلب الأول : الفلسفة المثالية (أفلاطون أنموذجا)
- المطلب الثاني : الفلسفة الواقعية (جون لوك أنموذجا)
- المطلب الثالث : الفلسفة الطبيعية (جون جاك روسو أنموذجا)
- المطلب الرابع : الفلسفة الوجودية (جان بول سارتر أنموذجا)
- المطلب الخامس : الفلسفة البراغماتية (جون ديوي أنموذجا)

شهد المجتمع البشري على مر العصور تطورات وتغيرات في الظروف الاجتماعية والاقتصادية والثقافية لهذه المجتمعات فبدا بمجتمع الصيد ثم المجتمع الزراعي إلى المجتمع الصناعي وصولا إلى اكتشاف الآلات والتقنيات الحديثة.

ومع كل هذه التغيرات والتحولات كان الإنسان يبحث عن نموذج مثالي للحياة، يتوافق مع الواقع الجديد ويراعي التطورات الحديثة. وفي هذا الإطار كان للتربية دور هام في تنميه شخصيه الفرد وتأهيله للعيش في مجتمعه وتحمل مسؤولياته الاجتماعية.

ولهذا تعتبر التربية عملية مستمرة ومتغيره ومتطورة حسب تطور الحضارة،وقد تبادل الفلاسفة والمفكرون على مر العصور وجهات النظر والأفكار حول دوري وأهميه،يجعلنا نفهم إن التربية تعتبر مفهوما واسعا متباين في فهمه وتطبيقه بحسب الحضارة.

وذلك يؤكد على الحاجة المستمرة لمناقشه دور التربية في بناء المجتمع وتحقيق التنمية الشخصية.

وهذا ما تطرقنا له في هذا الفصل ونحاول الإجابة على المشكلات التالية:

- كيف كانت التربية وعملية التدريس في الأزمنة الماضية ؟
- وكيف تغيرت المفاهيم والنظريات الخاصة بعملية التعليم ؟
- وما هي أراء الفلاسفة حول تعريف التربية وأهدافها والطرق المستخدمة لتحقيقها ؟
- وكيف تتدخل الفلسفة في تحقيق تحولات التعليم وتحسينه .

مدخل مفاهيمي:

المدلول اللغوي والاصطلاحي للتربية:

التربية عملية مستمرة تتضمن تطور وتعلم الفرد منذ ولادته وحتى نهاية حياته، وهي تمثل الطريق الأساسي لتنمية الإنسان في مختلف الجوانب سواء كانت المعرفية أو السلوكية أو المهارية، لذا وجب علينا التطرق إلى المدلول اللغوي والاصطلاحي للتربية قبل الخوض في البحث عن تطور التربية عبر العصور وفي مختلف الفلسفات، وعند أشهر المدارس والفلاسفة.

أ- التربية من المدلول اللغوي:

- جاء في لسان العرب لابن منظور:«ربا: ربا الشيء يربو، ربوة ورباء، بمعنى زاد ونمى، وأربيته بمعنى نميته[1]».

بمعنى أنها تعني النمو والزيادة والرعاية.

وقوله تعالى: (**أَلَمْ نُرَبِّكَ فِينَا وَلِيدًا وَلَبِثْتَ فِينَا مِنْ عُمُرِكَ سِنِينَ**) سورة الشعراء الآية 17

بمعنى «أي أما أنت الذي ربيناه فينا وفي بيتنا وعلى فراشنا، وأنعمنا عليه مدة من السنين[2]»

- وقوله تعالى أيضا: (***وَقُلْ رَبِّي ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا***) سورة الإسراء الآية 23

المقصود منه « تمثيل حالة خاصة فيها الإشارة إلى تربية مكيفة برحمة كاملة فإن الأبوة تقتضي رحمة الولد ، وصغر الولد يقتضي الرحمة به ولو لم يكن ولدا فصار قوله (كما ربياني صغيرا) قائما مقام قوله كما ربياني ورحماني بتربيتهما فالتربية تكملة للوجود وهي وحدها تقتضي الشكر عليها والرحمة حفظا للوجود من اجتناب انتهاكه، وهو مقتضى الشكر، فجمع الشكر على ذلك كله بالدعاء لهما بالرحمة »[3].

والقرآن لم يضف شيئا إلى معنى التربية إلا البعد الأخروي، أي انه جعل تربية الإنسان تتم من أجل أن يكون من أهل الجنة.

« وهي كلها إشارات إلى المعنى اللغوي للتربية وتعني الزيادة والنمو المطرد، واستخراج شيء كامل أو مستتر، وزيادته بالرعاية والعناية، يقال ربى الولد أي هذبه وجعله ينمو[4] » .

هذا يدل على أن لفظ التربية في مدلولها اللغوي في اللغة العربية هو أن محورها هو النشأة والرعاية والعناية والإصلاح .

ب- التربية من المدلول الاصطلاحي:

«التربية في الموسوعة الفلسفية **"أندري لالاند"** في اللغة الفرنسية هي**"Education "** وتعني تربية، تهذيب، تأديب، التربية في اللغة الإنجليزية **"Education"**، في اللغة اللاتينية **" Education"**»[5] .

---

[1]- إبن منظور لسان العرب، تحقيق عبد الله علي كبير وآخرون، دار المعارف، القاهرة ،الجزء 3، دس،ص 1572

[2]- تفسير إبن كثير، دار الفكر، بيروت، لبنان، ج3 ، ص 363

[3]- الطاهر ابن عاشور، تفسير التحرير والتنوير، الدار التونسية للنشر،دط ، 1987 ،ج 26 ،ص 33

[4] - عبد الله قلي وفضيلة حناش، التربية العامة، سند التكوين المتخصص المعهد الوطني للتكوين مستخدمي التربية وتحسين مستواهم، الجزائر، 2009 ، ص11.

[5] - اندري لالاند، الموسوعة لالاند الفلسفية، المجلد الأول، منشورات عويدات، بيروت، باريس، ط2 ،2001 ، ص 322.

وعرفها لنا على أنها:

« مسار يقوم على تطور وظيفة أو عدة وظائف تطورا تدريجيا بالدربة، وعلى تجويدها وإتقانها، أن التربية المحددة على هذا النحو يمكنها أن تنشأ من عمل أخر أو من عمل الكائن ذاته الذي يكتسبه » (هذا هو المعنى القديم والأعم) وبنحو خاص: تهذيب الشبان أو التربية باختصار سلسلة عملية إجرائية يدرب بها الراشدون، الأهل عموما الصغار من جنسهم ويشجعون لديهم نمو بعض النزاعات وبعض العادات، عندما تستعمل الكلمة بمفردها تقال في الأغلب على تربية الأطفال من الجنس البشري [1]» .

"اندري لالاند" قدم لنا في موسوعته الفلسفية مفهوم التربية بمعنيين، عام وخاص حيث تنطلق التربية من العام إلى الخاص فتبدأ من المجتمع لتصل إلى الفرد، حيث مسار التربية يستند إلى تطور وظيفة أو عدة وظائف فتتحسن تدريجيا وتتكيف وتتقن. ومن خلال تدريبهم وتهذيبهم للوصول إلى النمو الصحيح في جوانب النزاعات والعادات والتصرفات السلوكية.

أما في المعنى الخاص للتربية فيشير إلى معالجة وتأهيل الأطفال من خلال توجيههم وتشجيعهم لنشوء بعض المهارات والصفات الإيجابية.

أما جميل صليبا فيرى:

«التربية هي تبليغ الشيء إلى كماله ... وللتربية طريقان: الأول أن يربى الطفل بواسطة المربي والثانية أن يربى نفسه بنفسه، فإذا أخذت التربية بالطريق الأول كانت عمل موجه يتم في بيئة معينة وفقا لفلسفة معينة، وإذا أخذت بالطريق الثاني كانت عملا ذاتيا يترك فيه الطفل على سجيته ليتعلم من نشاطه القصدي[2] » .

جميل صليبا يؤكد في تعريفه على أن التربية هي عملية مستمرة ، تستمر طوال الحياة وتساعد الأفراد على النمو والتطور، وقد حدد طريقان للتربية: للطريق الأول فكرة أن التربية تستند إلى فلسفة معينة، وهذا يعني أنها ليست مجرد عملية تهدف إلى تحصيل المعرفة دون أي توجيه فلسفي. وبالتالي يفترض أن المربي يتمتع بفهم الفلسفة المرتبطة بالتربية، ويستطيع توجيه الطفل بحسب هذه الفلسفة وهذا يشير إلى أن أهمية وجود مؤسسات ومراكز تعليمية تستند إلى فلسفة ورؤية تربوية واضحة، والتي تدعم المربي وتوجه الطفل نحو النمو الصحيح.

أما الطريق الثاني للتربية يكون من خلال اهتمام التربية بالفرد وخصوصية نموه الشخصي، وهذا يعكس فكرة أن كل شخص هو فريد من نوعه ويحتاج إلى مساعدة مخصصة، وتوجيه يهدف إلى تطوير إمكانياته الخاصة واحتياجاته، وهذا يتطلب وجود نوع من التعليم المخصص لكل شخص حسب خصوصيته وهو الطريق الأول، الذي يشير إلى أن المربي كمرشد مهم لهذه العملية وتوجيه الطفل نحو النمو الذي يريده المربي. إذن هذا التعريف يركز على أهمية توجيه الأفراد نحو تحقيق أعلى إمكانياتهم.

---

[1] - المرجع نفسه، ص322.

[2] - جميل صليبا، المعجم الفلسفي، ج1، دار الكتاب اللبناني، بيروت، 1982، ص 266 - 267

أما **جون ديوي***: في قاموسه عرف التربية:

« بأنها تنشأ عن اشتراك الفرد في الوعي الاجتماعي للجنس البشري وهذا السبيل ينشأ لا وعيا وقت الميلاد تقريبا ويستمر على نحو موصولا في تشكيل قوى الفرد مشربا وعيه، مكونا عاداته، مدربا أفكاره، مثيرا مشاعره وانفعالاته، وبهذه التربية يصير الفرد بالتدريج مشتركا في الموارد الفكرية والخلقية التي نجحت الإنسانية في نيلها وتحصيلها وتجميعها، ومن ثم يصبح وارثا للرصيد المذخور والرأس مال الراهن للحضارة[1] ».

تعريف **"جون ديوي"**: أعطى للتربية أبعادا تعدت مجرد التعليم أو النمو الجسماني للفرد، ففي هذا التعريف ينطلق الفرد من مرحلة الولادة وهو يشترك في الوعي الاجتماعي للجنس البشري، وهذا الاشتراك الاجتماعي يستمر طوال حياته ويساعد في تشكيل شخصيته واعتقاداته وسلوكياته. وبالتالي هذا التعريف يشير إلى أن التربية تشكل الأشخاص وتجعلهم يصبحون مشتركين في الموارد الفكرية والخلقية والإنسانية ، وتعريف **"جون ديوي"** يعتمد على فكرة الوعي الاجتماعي، حيث يشير إلى قدرة الفرد على التعلم من المجتمع وتكوين ثقافة الذات.

وبالتالي التربية تعتبر عملية مستمرة، تستمر طوال حياة الفرد حيث يتطور باستمرار ويتغير ويتعلم بشكل مستمر من المجتمع، ومن خلال التفاعل مع الآخرون وهذا ما يؤكد على أهمية العملية التربوية في تشكيل الشخصية الإنسانية ومساهمة الفرد في عملية التطور الذي تعيشه المجتمعات.

«يقول **"جون ديوي"** عن التربية بصفة عامة فإنها حاصل جميع العمليات والسبل التي ينتقل بها المجتمع سوءا أكان صغيرا أم كبيرا قوته المكتسبة وأهدافه بقصد ضمان استمرار وجوده ونموه[2]».

يؤكد جون ديوي في وجهة نظره على أن التربية لها دور كبير في بناء المجتمع ويعتبر بناء المجتمع وتحسينه من خلال التربية هو الأساس لتحقيق استمرار المجتمع وتطويره، يرى أن التغيير في طفولة الإنسان يؤثر على تغييرات المجتمع بأكمله وهو ما يؤكد أهمية تأثير التربية في تشكيل الفرد والمجتمع. بالإضافة إلى ذلك يعتبر أن التربية هي العملية التي يمكن من خلالها تنمية قوة الإنسان وقدراته وتعزيز جوانب شخصيته الإيجابية، وفي هذا الصدد يؤكد أن التربية ينبغي أن

---

*- جون ديوي، فيلسوف ورجل تربية امريكي ولد في بلنجتون سنة ، 1859م ،دخل المدرسة ثم التحق بجامعة فريمونت وبعد ذالك انصرف لتخصص الفلسفة والتربية ،تحصل على دكتوراه في الفلسفة من جامعة جون هوكينزسنة 1884م ،عمل أستاذا للفلسفة في جامعة متشيغان بين عامين 1889 و1894 ثم أستاذا للتربية بجامعة شيكاغو من 1894 إلى 1904 حيث انشأ أول مدرسة تطبيقية كما ترأس قسم الفلسفة بجامعة كولومبيا لما عين بها أستاذا ، كما قام بعدة رحلات الى الخارج حيث زار إنجلترا وإيطاليا عام 1904 وتركيا عام 1924 والمكسيك 1926 ،قد رحل عن الدنيا 1952م تاركا الكثير من المؤلفات لعلى ابرزها يذكر الديمقراطية والتربية ،التربية في العصر الحديث،الخبرة والتربية ،البحث عن اليقين ،وغير من المؤلفات التربوية والفلسفية . **أنطونيو الخوري، أعلام التربية "حياتهم وأثارهم"(دط) ، دار الكتاب اللبناني، بيروت، 1964 م ، ص197.**

[1] - رالف ن وين، قاموس جون ديوي التربية، تر، محمد العريان، مكتبة انجيلو المصرية، القاهرة، 1964م، ص56.

[2] - رالف ن وين ، قاموس جون ديوي التربية، المرجع السابق، ص 56

تتضمن تعزيز الجوانب الإيجابية في شخصية الطفل وتقوية النواحي الاجتماعية التي تمكنه من التفاعل بصورة صحيحة مع الآخرين.

ولنتمكن من الوقوف على تطور مفهوم التربية لابد من تتبع تطور مفهومها عبر التاريخ وهذا الارتباط المفهوم بطبيعة الزمان والمكان وفلسفة المجتمع وغاياته وأهدافه.

وقد تعدد مفهوم التربية على حسب مجالات تواجدها في الحياة الإنسانية فنجد الواقع الإنساني يتطلب صياغة مفهوم التربية في قوالب فردية واجتماعية ومثالية .

مصطلح التربية مفاهيم فردية واجتماعية ومثالية .

« التربية بالمعنى الفردي : إعداد الفرد للحياة المستقبلية وبذالك فهي تعده لمواجهة الطبيعة كم تكشف عن مواهب الطفل واستعداداته الفطرية وتعمل على تنميتها وتفتحها وتغذيتها[1] ».

جاءت هذه المفاهيم في سياق الفلسفة التربوية، لدراسة الإغراض والأساليب والنظريات التي تؤدي إلى تحقيق الهدف العام للبشرية.

فالتربية الفردية تهدف إلى تنمية قدرات الفرد وإعداده للمستقبل، سواء من خلال اكتشاف مواهبه الفطرية أو تطوير مهاراته بشكل فردي، من خلال الاهتمام بالناحية النفسية والجسدية والذهنية للفرد.

« التربية بالمعنى الاجتماعي : هي تعلم الفرد كيف يتعامل مع مجتمعه وتعلمه خبرات مجتمعه السابقة والحفاظ على تراثه لان التراث هو أساس بقاء المجتمعات فهي تحرص على تمكين المجتمع من التقدم وتدفعه نحو التطور والإزدهار[2] » .

نفهم من خلال هذا التعريف أن التربية الاجتماعية تسعى إلى تعزيز التفاعل الاجتماعي والترابط المجتمعي من خلال تعريف الفرد بثقافته وموروثه الاجتماعي والثقافي، مما يجعله يشعر بالانتماء لمجتمعه ويستطيع تقديم الإسهام والمساهمة الفعالة لتفعيل دوره الايجابي في المجتمع.

« والتربية بالمعنى المثالي : تعني الحفاظ على المثل العليا للمجتمع الأخلاقية والاقتصادية والإنسانية النابعة من تاريخ الأمة ومن خبراتها الماضية ومن دينها وعلاقتها بالأمم الأخرى فالتربية عموما ما هي إلا وسيلة لتقدم البشر في كل مكان»[3].

أما من ناحية الجانب المثالي فالتربية المثالية تحرص على نشر المثل الأعلى للمجتمع والتوجه نحو الإيجابية في جميع جوانب الحياة الاجتماعية، وذلك من خلال تطبيق الإرشاد والتثقيف والتدريب، الذي يعمل على تحفيز الفرد على تطوير مهاراته وكفاءاته الايجابية وعلى التوجه نحو القيم العليا في المجتمع. وبذلك تساعد هذه التربية على بناء مجتمعات صحية نفسيا وروحيا وفكريا، وتساعد على تعزيز التنمية المادية والأخلاقية للمجتمع .

وفي الخلاصة التربية هدفها تكوين فرد صالح عن طريق تنمية كل قواه الطبيعية والعقلية ومكتسباته وسلوكياته وتعديلها وتهذيبها حسب بيئته وحسب ما يرضاه مجتمعه .

---

[1] - عبد الله قلي، فضيلة حناش، المرجع السابق، ص 13

[2]- عبد الله قلي، فضيلة حناش، المرجع السابق، ص 14

[3]- المرجع نفسه ، ص 14

المبحث الأول: كرونولوجيا التربية

المطلب الأول: التربية وأهدافها في المجتمعات البدائية

التربية في المجتمعات البدائية تهدف إلى تعليم الأطفال المهارات المتعلقة بالحياة والثقافة الخاصة بالمجتمع المحلي، والتربية في هذه المجتمعات تجري عادة بشكل تلقائي وغير مخطط له، حيث يتفاعل الأطفال في الأنشطة اليومية مع الكبار والمحيط الطبيعي وهي تهدف إلى تحضيرهم للحياة وتعليمهم المهارات الضرورية اللازمة للبقاء و الإزدهار في المجتمع.

التربية في المجتمعات البدائية

إن المجتمعات البدائية كانت قبل اختراع الكتابة وقبل ظهور المدارس والمؤسسات التربوية.

« وكانت الحياة البدائية حينها بسيطة لا تخرج عن تحقيق الحاجات الأولى من المأكل والملبس والحماية[1]» .

الملاحظ أن الإنسان البدائي بسيط في حياته،كل مطالبه تدور حول إشباع حاجاته اليومية من مأكل ومشرب وأمنه فهذا هو هدف الحياة عنده.

« ومنذ وجود الإنسان على هذه الأرض والتربية حاضرة لاصقة بحياة الإنسان ... كضرورة لازمة لاستمرار حياة الجماعة أو المجتمع وبالتالي فبداية تاريخ التربية هو بداية ظهور الجماعات البشرية على وجه الخليقة[2]».

إذا التربية ظهرت بظهور الإنسان كضرورة لازمة لاستمرار الحياة.

« لقد فرضت طبيعة الحياة البدائية البسيطة أن تتم التربية وتحدث في واقع الحياة مباشرة أي تتم بطريقة غير مقصودة... بمعنى لا يوجد فرد بعينه يتولى أمر التربية إنما الحياة كلها هي نمط تربية والكبار هم المعلمون المربون... وهنا يتعلم الأبناء سبل العيش واكتساب الخبرات والمهارات من أبائهم وعشيرتهم[3] » .

الإنسان البدائي يتلقى تعليمه من الوسط الذي يعيش فيه وفي حياته اليومية فالطفل مثلا يتعلم من خلال اللعب والذهاب إلى الصيد ومشاهدة الحيوانات وممارسة الطقوس الدينية فالتربية هنا كانت تلقائية غير مقصودة وغير واعية نتيجة للتفاعلات اليومية والظروف والتجارب لا عن طريق المؤسسات التربوية الخاصة .

---

[1] -- محمد حسن العمايرة، أصول التربية (التاريخية والإجتماعية والنفسية والفلسفية)، دار النشر للمسيرة والتوزيع ، ط2، عمان، دس، ص 34.

[2] - محمد سلمان الخزاعلة، أصول التربية ومبادئها، دار صفاء، ط1، المملكة العربية السعودية، 2012، ص 70.

[3] - محمد سلمان الخزاعلة، أصول التربية ومبادئها، المرجع السابق ، ص 70

« ومن هذا المنطلق يمكن القول أن تفاعل الإنسان كان مستمرا مع بيئته التي أصبحت مدرسته الأولى وقد تطورت أساليب التربية وطرقها مع تطور الإنسان وأخذت أشكال مختلفة من حيث أغراضها وعواملها و وسائلها المقصودة وغير المقصودة[1] ».

إذن عملية التربية عند الإنسان البدائي تجري بشكل تلقائي هدفها هو هدف الحياة وان هناك تفاعل بين الإنسان والبيئة يحدث بشكل مستمر والبيئة هي المدرسة الأولى التي يتعلم منها الإنسان فالتربية غير مقصودة هنا.

« ومع تطور الإنسان البدائي شيئا فشيئا وصل إلى مرحلة يعيش فيها في مجتمعات منظمة ومع تراكم التراث الثقافي والمعارف واختراع اللغة المكتوبة... ، أصبح غير قادر لوحده على الحفاظ على هذا كله وتنظيمه وتبسيطه مما جعل العقل الإنساني يفكر في إيجاد أماكن لتلقين المعارف مما أدى إلى ظهور التربية المقصودة وظهور ما يسمى بـ: المدارس[2]» .

إذن الإنسان البدائي بعد ما كان يعيش في بيئة طبيعية غير منظمة وكان يعتمد على مهاراته الأساسية في الصيد والزرع وكان أيضا بحاجة إلى المعرفة والخبرات للتأقلم مع الظروف والحياة الصعبة أصبح بعد تراكم المعارف والثقافات واختراع الكتابة يعيش في عالم معقد يحتاج إلى طرق لتلقين المعارف وهنا ظهرت فكرة التربية والتعليم والتي كان هدفها تجميع المعارف وتنظيمها ونقلها للأجيال القادمة وهنا ظهرت التربية المقصودة للتعبير عن حاجات الجماعة المختلفة ولتحقيق الغايات والأغراض التي ينتظرها المجتمع.

المطلب الثاني: التربية وأهدافها في الثقافات التاريخية الأولى والحضارات الشرقية القديمة (الصين أنموذجا):

« تطورت الثقافة الإنسانية وأصبحت أكثر تعقيدا، خاصة بعد أن أتقن الإنسان استخدام البرونز والحديد، وأنشأ نظاما متقنا للكتابة، وأصبحت المدرسة الجهة المختصة بشؤون التربية والمكان الذي يتعلم فيه الأطفال بعض عناصر تراثهم الثقافي ونتيجة لهذا التطور الثقافي والحضاري ظهرت عدة ثقافات وحضارات في التاريخ من أبرزها الحضارة الصينية، الهندية، المصرية القديمة، البابلية، الأشورية...[3]».

نلاحظ أن كل هذه الحضارات التاريخية كانت لها أنظمتها التربوية، ونظرا للمقام الذي لا يسمح لنا بدراسة مفهوم التربية في كل هذه الحضارات سنكتفي بإعطاء فكرة موجزة عن مفهوم التربية في الحضارة الصينية كنموذج للحضارات الشرقية القديمة .

التربية الصينية كنموذج للحضارات الشرقية القديمة:

في الثقافات الشرقية القديمة، تعتبر التربية أساسية جدا ويتم إيلاء العديد من الاهتمامات والرعاية لتعليم الأطفال وتربيتهم على الأخلاق والقيم الإنسانية والدينية، وقد اهتمت بتعليم الأطفال عن أهمية العائلة والاهتمام برعايتها، الأمر الذي يفرز جيلا مؤمنا بقيم الأسرة والمجتمع.

---

[1] - عبد الله رشدان، نعيم جعنيني، المدخل إلى التربية والتعليم، دار الشروق للنشر والتوزيع، ط1،عمان، الأردن،1994،ص7

[2] - المرجع نفسه ، ص8

[3] - عمر محمد التومي شيباني، تطور النظريات والأفكار التربوية، دار الثقافة، بيروت، دط، 1981، ص 23

وتشجع التربية الشرقية على تعليم الأطفال الصبر والاحتمال والتفاني والإخلاص وغير ذلك من القيم الحميدة التي تشكل الأساس لنمو إنسان مثالي.

« يرجع تاريخ الحضارة الصينية القديمة إلى القرن الثاني والعشرين قبل الميلاد ، فقد ظهرت لهم دولة ذات نظام اجتماعي وثقافي مميز ، وكانت لهم لغة تعتبر من أقدم اللغات ...لكن الملفت للنظر التشابه الكبير لجميع عصور تاريخ الصين من حيث احتفاظ الصينيين بطبقات موحدة، وخضوعهم التام لتقاليد الماضي وتقديسهم له وهذا ما برز في التربية الصينية[1]».

ما ميز الحضارة الصينية هو الحفاظ على التقاليد والقيم الأساسية التي تم تشكيلها منذ القرون البعيدة وتنشئة أفرادها على الخضوع لعادات وتقاليد أجدادهم الماضية .وعدم التجديد الفكري فتراثهم مقدس لا يمكن التغيير فيه .وهو أساس لبناء الهوية الوطنية للصينيين والحفاظ على أسلوب الحياة والقيم الأساسية وبهذا يمكن القول أن التربية الصينية تحمل الكثير من الفلسفة العميقة حول حفاظ الإنسان على هويته و تجذرها في التاريخ والثقافة مما يعتبر ركيزة أساسية في بناء أي مجتمع.

« عكست التربية الصينية خصائص المجتمع الصيني وفلسفته الدينية حيث اعتبرت التربية عملية تلخيص للماضي ترمي إلى أن تركز في الفرد حياة الماضي بأدق تفاصيله بحيث لا يختلف عنه أو يتخطاه وذلك وفقا لتعاليم الكونفوشيوسية التي أكدت غرض التربية في أنه تدريب كل فرد على صراط الواجب، أي إتباع ما هو موجود من قوانين وأنظمة وشرائع وأخلاق وعادات[2]» .

إذاً هنا التربية بنظامها وموادها وأهدافها خضعت هي الأخرى خضوعا كليا للتقاليد القديمة، إلا أن، الكونفوشيوس وضع مفهوما للتربية يهدف إلى تعريف الأفراد على صراط الواجب من أجل المحافظة على النظام الطبقي في هذه الإمبراطورية القديمة .

« حرص الشعب الصيني القديم على حب التعلم والتعليم ، وإنشاء المدارس المتخصصة المختلفة لتعليم الشيء سواءً من أبناء الطبقات الحاكمة أو الحاشية أو رجال الدين علاوة على وجود نظام تعليمي وتربوي يكرس أساسا للتعليم العسكري ولتنظيم الجيوش وإدارتها[3]».

أساس التربية الصينية في درجة الأولى حب التعلم والتعليم وإنشاء المدارس المتخصصة المختلفة في المجالات العلمية والثقافية وتوفير فرص التعلم لجميع الفئات الاجتماعية وأيضا إنشاء نظام تربوي يركز على الجانب العملي للتعليم لما له من أهمية في بناء الأمة والدفاع عنها إلا وهو التدريب على العادات والواجبات والقوانين إضافة إلى التربية المهنية والتربية العسكرية والتربية الوطنية .

« أما نظام المدارس في التربية الصينية فقد اتسم هذا النظام بطابعه الخاص والمتميز الذي يهدف إلى سيادة اللغة الصينية والأدب المقدس وبث القدرة على كتابة المقالات .... وحفظ الكتب

---

[1]- محمد سلمان الخزاعلة، المرجع السابق، ص72.

[2]- المرجع نفسه، ص72.

[3]- حسين عبد الحميد احمد رشوان، التربية والمجتمع، دراسة في علم اجتماع التربية، مؤسسة شباب الجامعة الإسكندرية، 2010، ص23.

الدينية والترجمة أي حل الرموز التي سبق تعلمها ...إلى أن يحصل التلاميذ على المهارة وقدرة كافية في هذا الفن تمكنهم وتؤهلهم لدخول الامتحانات والنجاح فيها[1]».

يتضح لنا مما سبق أن النظام الصيني التعليمي جسد فلسفة تربوية مميزة الهدف منها تطوير الشباب بطريقة شاملة تعتني بجوانب حياتهم المختلفة من العلوم إلى الفنون والروحانيات ، لكن هذا النظام يعتمد على التلقين والحفظ أي تربية تقليدية جامد.

نخلص إلى أن التربية الصينية هدفت إلى المحافظة على عادات أبائها وأجدادها وتمجيدهم فقط ولم تهدف إلى التغيير مثلها مثل التربية البدائية فقد غلب عليها روح المحافظة والسلبية بالرغم من التقدم الذي عرفته الإنسانية آنذاك.

المطلب الثالث: التربية وأهدافها في الثقافة اليونانية القديمة:

تميزت التربية في الحضارات اليونانية القديمة بالاهتمام بالثقافة والعلم والفلسفة، حيث كان لأصحاب العلم والفكر مكانة عالية في المجتمع. كان هدف التربية في ذلك الوقت هو تنمية الفرد بمختلف جوانبه الوجدانية والفكرية والجسدية ، وفي نفس الوقت تهدف إلى تنمية مهاراته في التعبير والتفكير النقدي.

« ولعل أول انتقال يشعر به الباحث من مفهوم التربية البدائية إلى مفهوم تربوي أكثر حيوية وتقدم هو في الثقافة اليونانية القديمة التي تعتبر بحق الأصل للثقافات الغربية والثقافات المعاصرة بصورة عامة ففي هذي الثقافة ظهر للتربية مفهوم جديد يخالف في خصائصه وأهدافه ما كانت عليه التربية في المجتمعات البدائية ثم في المجتمعات التاريخية الأولى في الشرق[2]».

بالرغم من وجود التربية في المجتمعات البدائية القديمة والحضارات الأولى إلى مفهوم التربية يعود إلى الثقافة اليونانية القديمة التي تعتبر أصل الثقافة الغربية بشكل عام

« تباين التربية اليونانية والتربية الشرقية مباينة تامة فعلى حين نرى أن روح المحافظة والجمود والحد من حرية الفرد هي التي تميز التربية الشرقية ،نرى أن روح التجديد والجمود والابتكار وروح الحرية الفردية هي التي تميز التربية اليونانية فاليونان قد فتحوا المجال واسعا لنمو الشخصية الفردية في جميع مظاهرها السياسية منها والخلقية والعلمية والفنية ،وجعلوا غاية التربية لديهم أن يصل الإنسان إلى الحياة السعيدة الجميلة[3]» .

يظهر تباين واضح في النهج الفلسفي والتعليمي بين التربية الشرقية والتربية اليونانية حيث تميزت الأولى بالمحافظة على التقاليد بينما التربية اليونانية ركزت على النمو الفردي في جميع المجالات وكان الهدف من التعليم ليس هو مجرد الحفاظ على التقاليد بل الوصول إلى الحياة السعيدة والجميلة.

ومن هنا يتضح أن الفضل الكبير في تطور الفكر التربوي يعود إلى الفكر اليوناني الذي قدم الكثير إلى الحضارة الحديثة في جميع الميادين .

---

[1] - عبد الغاني محمد إسماعيل العمراني، أصول التربية، دار الكتاب الجامعي، ط2، صنعاء اليمن، 2014، ص49.

[2]- عمر محمد التومي الشيباني ، المرجع السابق ص 25

[3]-عبد الله عبد الدايم، التربية عبر التاريخ من العصور القديمة حتى أوائل القرن العشرين، دار العلم للملايين، ط1، بيروت، لبنان، 1973 ،ص 53.

وبصورة عامة ظهر في اليونان نموذجان هما: **التربية الإسبرطية والتربية الأثينية** .

أ- **التربية في إسبرطة :** سنتطرق إلى الحياة في مدينة اسبرطة وكيف كانت التربية فيها آنذاك

«اهتمت اسبرطة بالتربية من ناحية إعداد مواطنين محاربين كمثل أعلى، ميز تربيتها على الدوام وكنمط للتربية الدكتاتورية، ولتحقيق مثل هذا المثل الأعلى سعت التربية الإسبرطية نحو إيجاد الفرد القوي في جسمه المحارب الشجاع المتصف بروح البسالة و الإقدام والتقشف والصبر والتضحية في سبيل الوطن والمصلحة العامة، المطيع للأوامر والقانون طاعة عمياء[1]»

الملاحظ أن هناك تباين في التربية عند اليونان ففي اسبرطة التربية كانت تستمد أهدافها من النظام العسكري وأهدافه وتركز على الفضائل الحربية وتغرسها في النفوس.ولم تعتني بالتربية الفكرية ماعدا بعض الأشعار المختارة إذن احتلت التربية الإسبرطية مكانة عالمية في المجال العسكري والبدني ولكنها لم تنجح في المجال التربوي والمهني والسياسي وبهذا فشلت في التربية العقلية والفنية والخلقية .

ب- التربية في أثينا:

« هناك شكل أخر من التربية ظهر عند اليونان في أثينا، إذ كانت التربية تقدمية تهدف إلى إعداد الفرد لذاته ليصل إلى درجة الكمال الإنساني... ولو رجعنا إلى المناقشات العديدة بين مفكري أثينا، كما تظهر لنا في محاورات **أفلاطون،** أو في كتابات **أرسطو** أو في حيل السفسطائيين الرواقيين لوجدنا أن الفرد أصبح يمثل في تفكيرهم مكانا خاصا وإن إعداده ليكون فردا في المجتمع لا جنديا ضمن الجيش[2]» .

نلاحظ أنه في أثينا كان التعليم يهدف إلى تعليم المهارات والمعرفة اللازمة للنجاح في الحياة اليومية والعملية وقد كان هناك ازدهار فكري كبير متحرر من كل القيود مما ساهم في تأسيس نظام تربوي متقدم ساهم في ظهور فلاسفة ومفكرين .

« تبدأ التربية الأثينية من الأسرة حيث يعهد إليها بتربية الطفل حتى يبلغ السابعة من عمره فيتم إرساله إلى المدرسة ويبقى فيها حتى الخامسة عشرة أو السادسة عشر من عمره وكان يرافق التلميذ في ذهابه إلى المدرسة وإيابه شيخ كبير يقوم بمراقبة سلوك الصبي وعاداته في الحديث ومعاملة الآخرين والمشي في الطريق كما أوكلت تقييم أخلاقي ومعاقبته عند إخلاله بآداب اللياقة»[3].

ما نلاحظه هو أن الدولة الأثينية شجعت التعليم ونظمت المدارس وحددت المناهج بشكل شامل ليستمد الطفل منها الأخلاق الحميدة والقيم النبيلة ولمساعدته على النمو المتكامل للوصول إلى مواطن مثقف مزودا بالمعرفة وحب الخير وهذا ما سيساعد في بناء مجتمع راق ومتماسك لذا تعتبر التربية من أهم الأسس التي يقوم عليها المجتمع حيث يبدأ من الأسرة ثم يستكمل في المدرسة وفي المجتمع بشكل عام.

[1] - محمد سلمان الخزاعلة ، المرجع السابق، ص82 .
[2] - عبد الله الرشدان ، نعيم جغنيني ، المرجع السابق ص 22
[3] - عبد الغني محمد إسماعيل العمراني ، المرجع السابق ص 61

«غير أن التربية الأثينية كانت أرستقراطية باقتصارها على طبقة الأحرار الأثينيين الذين يتمتعون بالحقوق السياسية والمدنية ، أما كبقة الصناع والتجار وكذا العبيد فليست لهم الحقوق المدنية وبالتالي فلا يحق لهم إلا التعليم المهني والحرفي الذي يمكنهم من إجادة الأعمال المهنية[1]».

في النهاية يمكن القول أن التربية اليونانية اختلفت عبر العصور، ففي أثينا التربية موجهة إلى الروح والجسد معا لإعداد مواطن صالح .

أما في اسبرطة فقد ضحت بالتربية الروحية في سبيل التربية الجسدية من أجل خلق الشجاعة لدى الأبطال والجنود.

المطلب الرابع: التربية وأهدافها في العصر الوسيط

1- التربية عند المسيحيين:

هناك ظروف تاريخية تزامنت مع ظهور المسيحية أدت إلى اعتناق الدين المسيحي في تلك الفترة الزمنية.

« بدأت الحضارة الرومانية في الفترة التي سبقت ظهور المسيحية مباشرة تتجه نحو الضعف والانحلال ، كما بدأت تختفي كثير من الفضائل والصفات التي كان يتحلى بها المواطن الروماني ... وقد فشل التفكير اليوناني الذي أتصل به الرومان وتأثروا به في إصلاح أمر الأخلاق في الإمبراطورية الرومانية[2] ».

نلاحظ أن الإمبراطورية الرومانية تراجعت وضعفت وقد فشل التفكير اليوناني في إصلاح الأخلاق في الإمبراطورية الرومانية وهذا راجع إلى بعض النقاط الضعيفة في الفلسفة اليونانية وطريقة تطبيقها في المجتمعات الأخرى مما أدى إلى ضرورة اعتناق الدين المسيحي، من أجل تنظيم الحياة في الإمبراطورية .

« وقد مهدت هذه الحال التي وصلت إليها الحياة الرومانية إلى ظهور الديانة المسيحية التي تخاطب العاطفة و الوجدان ،وتدعو إلى صقل الروح وتهذيب الأخلاق، وقد قوبل هذا الدين الجديد في أول الأمر بمعارضة شديدة من قبل الحكام المسيطرين في الإمبراطورية الرومانية ، ولاقى معتنقوه كل ألوان الذل والاضطهاد والتنكيل[3]».

إن ظهور الديانة المسيحية التي تختلف في مبادئها عن ما جاءت به الحضارة الرومانية التي ارتكزت على تقديس الحياة الدنيا، عكس المسيحية التي ركزت على الجانب العاطفي الوجداني والروحي للإنسان وهذا ما سيجعل أمر تقبلها كدين جديد صعب جدا.

« صبغت الديانة المسيحية في بداية عهدها بالصبغة الدينية فانحصرت التربية أن ذاك في تربية الأخلاق، تهذيبا للروح وتنمية روح الفضيلة، والدعوة إلى حب الله، وإخضاع الجسم لنظام قاس من التقشف والحرمان من ملذات الحياة. وهنا وجدت الرهبنة طريقا لتحقيق هذا الهدف ، متخذة الأديرة ملاذا للتطهر والزهد ومكانا للتعليم[4]».

---

[1] - محمد سلمان الخزاعلة ، المرجع السابق، ص84

[2] - عمر محمد التومي الشيباني ، المرجع السابق ،ص42

[3]- عمر محمد التومي الشيباني ، المرجع السابق ،ص42

- محمد سلمان الخزاعلة ، المرجع السابق ، ص90

نلاحظ أن المسيحية في بداياتها توجهت نحو الأخلاق وتطهير الروح وهذا الانقلاب الذي حدث في المجتمع الروماني أدى إلى ظهور سلوكات جديدة ، وإعطاء معنى للتربية والأخلاق من أجل تهذيب والرقي بالأخلاق وتأسيس مبادئها للوصول إلى المثالية وتنمية الفضائل الإنسانية. وقد وجد الناس في دور الرهبنة ملاذا للتطهير والزهد ومكانا للتعلم وتمنية الروح وتطوير الذات واكتساب قيم الاعتدال والتقشف والحرمان.

« حاول المسيحيون أن ينشئوا مدارس خاصة بهم يتماشى التعليم فيها مع المبادئ والتعاليم المسيحية ... مدارس منظمة تجمع بين التعليم الديني والمدني .كانت التربية في العهد الأول للمسيحية تصطبغ بالصبغة الدينية الصرفة، وتتم عن طريق الأسرة وعن طريق الكتاتيب الملحقة بالكنائس أو التي كان يديرها مسيحيون معروفون بنزعتهم الدينية وروحهم التبشيرية[1]».

من هنا نفهم أن المسيحية ساهمت في تشكيل الوعي العام بأهمية الأخلاق والفضيلة في بناء المجتمع الصالح وأنها بمبادئها حاولت رفع مستوى التربية والتعليم وسعت إلى فتح المدارس والكتاتيب.

«وبسيطرة الثقافة المسيحية في العصور الوسطى فقدت الثقافة الحرة جذوتها، وضعف مستوى التعليم وساءت أحوال مؤسساته من المدارس الكنيسية والكاتدرائية والديرية، حتى أصبح ليس من التجني على العالم الغربي أن يطلق عليه في القرون الأولى من العصر الوسيط عالم الجهل والظلام[2] ».

بهذا نلاحظ سيطرة تامة للثقافة والدين المسيحي وعلى التربية في العصر الوسيط واستبعاد كلي للعقل وان هناك حدود لا يجب تجاوزها وهذا راجع إلى هيمنة الكنيسة ورجال الدين على السلطة والحكم، مما أدى إلى الخمول الفكري والثقافي .

« طرق التدريس في المدارس الكنيسية صورة صادقة عن عصر لم يكن يأبه فيه الناس للحرية، ولا يكترثون بالمبادهة الفكرية بل كان همهم فيه أن يفرضوا العقائد على العقول لا أن يُكَوِّنُوا العقول[3]» .

إذا انقلبت تعاليم المسيحية من علم وفصاحة إلى سيطرة أدت إلى إقصاء للعقل والتفكير السليم وصولا إلى هيمنة تامة للكنيسة التي كان لها دورا رئيسيا في توجيه السياسة التعليمية والتربوية والسيطرة على العقول والمعتقدات والسلوكيات الإنسانية، وانتشار الجهل والضعف الفكري وصولا في النهاية إلى عصر سمي بعصر الظلمات .

« هكذا نرى الأساتذة يلقون ما حفظوه أو يقرؤون ما كتبوه، والطلاب يحفظون عن ظهر قلب، ونرى النظام قاسيا إذا كان أبناء تلك العصور سيئون الظن بالنفس الإنسانية الفاسدة، ويحاولون أن يرهقوها جهد المستطاع وأن يعذبوها علها تتطهر، فلقد حرم على الطلاب عام

[1] - عمر محمد التومي الشيباني ،المرجع السابق، ص50
[2] - المرجع نفسه ، ص54
[3] - عبد الله عبد الدايم، المرجع السابق ،ص122-123

1363أن يستخدموا الكراسي والمقاعد بحجة، هذه المقاعد كانت عالية جدا تفسح المجال للكبرياء والغرور[1]».

هذا ما آل إليه التعليم والتربية من ابتعاد عن المبادئ والتعاليم الحقيقية للدين المسيحي التي كان هدفها الأساسي هو السمو بالروح والرقي الخلقي والإعداد للحياة الآخرة، بل تحولت إلى حياة الرهبنة والتقشف والزهد حيث بعثرت الشخصية الإنسانية ودمرتها وشددت في كل الجوانب الفكرية وأساءت إلي كل تفكير حر أو ابتكاري أو حواري مما ردع حرية الفكر والابتكار والإبداع لدى الأفراد .

« وفي العصر الأوروبي الوسيط ظهرت الحركة المدرسية بدأ من القرن الحادي عشر حتى أوائل القرن الخامس عشر، حيث جرى فيها إحياء العلوم الحرة، ومحاولة إعمال العقل لتبرير العقيدة بالعقل، أو بمعنى أخر حركة إيقاظ العقل والتمهيد ليقظة فكرية وتربوية، دعت إلى تحرير العقل المسيحي من النظرة الدينية المحرفة وإلى الإيمان بأن العقل والدين ليسا متناقضين وتحسين أساليب البحث والتأليف [2]».

إذن في نهاية العصر الوسيط توجهت النظرة إلى تقدم العلوم وإعلاء العقل على قيود العقيدة المقدسة المحرفة للخروج شيئا فشيئا من ظلمات ذالك العصر و الدخول إلى عصر النهضة والإصلاح. وتعتبر حركة المدرسة في العصر الوسيط حركة تربوية فكرية وهي حركة إيقاظ العقل وتحيره من النظرة الدينية المحرفة وإعطاء العقل الإنساني حرية الإبداع والاهتمام بالعالم الدنيوي على أسس عقلانية وليس بموجب مبادئ وتعاليم دينية صارمة.

« الجديد الذي نجم عن الحركة المدرسية هو تحسن مناهج الدراسة وطرق التدريس في المؤسسات التعليمية القائمة على الأديرة ، والكاتدرائيات ومدارس قصور الملوك والأمراء [3] ».

يكمن الهدف الأساسي لحركة المدرسة في إعادة الاهتمام بالعلوم الحرة وتنمية العقل الإنساني وإعادة العلم إلى مكانته الحقيقية بعيدا عن التشاؤم والنظرة السلبية وبهذا بداية ظهور بوادر لليقظة الثقافية من أجل التغيير وتحسين التعليم ، وبروز الفكر المدرسي ونموه تدريجيا « وأعظم منجز حدث في العصر الوسيط هو نشأة الجامعات الأوروبية بنظم وتقاليد كانت الأساس لتنظيم الجامعات فيما بعد ، في كل أنحاء أوروبا والعالم ، وأول جامعة تأسست هي جامعة بولينا في إيطاليا عام 1158 ثم ظهرت بعدها جامعة باريس ثم جامعة أوكسفورد في بريطانيا[1]».

في النهاية نلاحظ بعد سيطرة الكنيسة المطلقة، كان لابد من أن يظهر عصر النهضة الذي تحررت فيه الأفكار وتطور التعليم والتربية وتحقق التطور الثقافي والفكري للإنسانية، وتغير الهدف التربوي من هدف روحي إلى هدف عقلاني .

2- التربية عند العرب:

---

[1]– عبد الله عبد الدايم، المرجع السابق ، ص123

[2]– محمد سلمان الخزاعلة ، المرجع السابق ، ص91

[3]- المرجع نفسه ، ص91

[1]- محمد سلمان الخزاعلة ، المرجع السابق ،ص 91

كانت التربية تهدف إلى تنمية شخصية الطفل وبناء قيمه الأخلاقية والإيمانية، والعناية بتطوير مهاراته العملية والذهنية وكان الآباء والأمهات يولون عناية كبيرة لتربية أطفالهم وتعليمهم الآداب والتقاليد الاجتماعية والدينية .

أ- التربية عند العرب قبل الإسلام :(عصر الجاهلية)

تميزت التربية عند العرب في الجاهلية بوجود نوعين من التربية، التربية عند المجتمع البدوي الذي سكن الصحاري، والتربية عند المجتمع الحضري الذي سكن القرى والمدن.

«كانت التربية عند العرب في ذلك العصر تستهدف بث العادات الفاصلة وغرس الصفات الخلقية التي اشتهر بها العرب منذ القدم، وكانت الأسرة أهم وسائل التربية عند العرب البدو الجاهليين وقد تشاركها في ذالك العشيرة التي تجمع أفرادها أواصر النسب وروابط القرابة التي تعد صورة مكبرة للأسرة[1]».

تعتبر التربية في العصر الجاهلي عند العرب ذات طابع مجتمعي واجتماعي وهذا راجع لطبيعة حياة البدو القائمة على الترحال وعدم الاستقرار حيث لم تخرج التربية عن عادات وتقاليد القبيلة التي كانت تهدف إلى إعداد الشيء لتحصيل ما هو ضروري في الحياة.وتشكيل شخصية الفرد بما يتفق مع المجتمع والثقافة والعادات التي ينتمي إليها والى تعزيز قيم الأخلاق والصفات الخلقية المتفق عليها.

« وأما الحضر كانت التربية عندهم أرقى وأوفى وفي وسعنا أن نقول أنها كانت تنقسم إلى قسمين ابتدائية وعالية ،وكان الأطفال في القسم الابتدائي يدرسون الهجاء والمطالعة والحساب وقواعد اللغة، كما كان الطلاب في القسم العالي يدرسون الهندسة العملية وعلم الفلك والطب، فن العمارة والنقش والآداب والتاريخ[2] ».

إذن العرب الحضر اهتموا بتحسين مستوى التعليم وتنويع مجالات التعليم لتشمل جميع جوانب الحياة والمعرفة التي تهدف إلى اكتساب الفرد صناعة من الصناعات مثل الهندسة أو الطب أو العمارة دون أن ننسى المدارس الابتدائية التي تعلم العادات الحسنة والصفات الأخلاقية وقواعد اللغة .كل هذا من أجل تعليم الأجيال القادمة بجميع المهارات المعرفية الأساسية التي يحتاجون إليها لاكتشاف وفهم العالم الذي يعيشون فيه

ب- التربية عند العرب في عهد الإسلام:

أعطى الإسلام قيمة كبيرة للعلم وحث على طلبه، وأعطى مكانة مرموقة للعلماء وطلبة العلم، ويكفينا فخرا أن أول أية نزلت على سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم هي :" **إقرأ** ".

والتربية الإسلامية كمصطلح تعريفها كما يلي : **مقداد يالجن**

« بأنها إعداد الفرد المسلم إعداد كاملا من جميع النواحي في جميع مراحل نموه للحياة الدنيا والآخرة في ضوء المبادئ والقيم، وفي ضوء أساليب وطرق التربية التي جاء بها الإسلام، أما عبد

[1]-عبد الله عبد الدائم، المرجع السابق ، ص 136.

[2] - عبد الله عبد الدائم، المرجع السابق ، ص 136

الرحمان النقيب فيرى أن المقصود بالتربية يستهدف إيجاد الإنسان القرآن والسنة أخلاقا وسلوكا مهما كانت حرفته أو مهنته[1] ».

إذن التربية الإسلامية تهدف إلى تكوين الفرد المسلم في جميع جوانبه المختلفة سواء الثقافية أو الإيمانية أو الأخلاقية أو العملية اعتمادا على القرآن والسنة وهذا في جميع مراحله العمرية بما يساعده على التأقلم في الحياة والتعايش مع المجتمع والازدهار فيه أي أن طلب العلم عملية مثمرة من المهد إلى اللحد .

« إن التربية الإسلامية لابد أن تستمد توجيهاتها وفلسفتها وغاياتها من الشريعة الإسلامية، ومن ثم فهي ترفض أن تكون التربية الإسلامية بمعزل عن الإسلام وتعاليمه سواء في إطارها النظري أو تطبيقاها العلمية[2]» .

بمعنى أن التربية هدفها هو تعليم الفرد المسلم وبناء شخصيته وتنمية مهاراته وتعزيز قيم الشخصية الإسلامية المتمثلة في الاعتدال والأمانة والورع والأخلاق الحسنة ليواصل حمل الرسالة الإلهية سواء في المدارس أو في الحياة اليومية العملية .وعلى هذا الأساس يتجلى دور التربية في تأهيل الإنسان ليكون حاملا لقيم القران والسنة ويتصرف وفقا لمبادئها وأخلاقها بصورة متكاملة .

« تنوعت أساليب وطرق التدريس لدى المربون المسلمون بتنوع الأزمنة والأمكنة وكذا نتيجة لطبيعة المادة المدرسة ، ومن أهم هذه الطرق : حلقات التدريس ،طريقة القراءة ، طريقة الحوار، الإملاء، الطريقة الاستقرائية، الطريقة القياسية، أما فيما يخص أماكن التقييم فتتم في الكتاب، القصور والمساجد والحوانيت ومنازل العلماء، إضافة إلى المدارس وكذا دور الحكمة والمجالس الأدبية[3]».

إن التعليم والتربية لدى المربيون المسلمون كان متنوعا وغنيا بالطرق والأساليب المختلفة وذلك بسبب توافر الأدوات التعليمية المختلفة والتي تلبي احتياجات المتعلمين بطريقة فعالة ومناسبة.

وأن التربية عندهم كانت شاملة ومتكاملة وتهدف إلى تطوير الفرد بشكل كامل سواء من الناحية الثقافية أو الإيمانية أو العملية.

« إن الفرق بين التربية الإسلامية بين أنواع التربية الأخرى ، سواء منها التقليدية أو الدينية هو أنها تربية ربانية ، والله جلا وعلا هو رب العالمين وهو سبحانه رب الناس وهذا يجعلها تتميز كل التميز عن غيرها من أنواع التربية من حيث الأهداف والطبيعة والمحتوى والسمات والأثر العلمي ، وهدفها الكبير هو إيجاد الفرد المؤمن الذي يخاف الله ويتقيه ويحسن عبادته ليفوز في الأخرى ويسعد في الدنيا[4]».

---

[1] - عبد الغني محمد إسماعيل العمراني، المرجع السابق، ص 152.
[2] - عبد الغني محمد إسماعيل العمراني، المرجع السابق، ص 153
[3] - المرجع نفسه ، ص 160.
[4] - عبد الغني محمد إسماعيل العمراني ، المرجع السابق ،ص 156.

من هنا نجد أن هدف التربية هي إعداد فرد صالح ليعيش في مجتمع مسلم حياة تملؤها السعادة والاطمئنان والراحة النفسية بعيدا عن الإحباط والتوتر وبهذا تتحقق سعادة الإنسان في الحياة الدنيا والآخرة.

« كان العلم في صدر الإسلام قد تخطى مكانة مرموقة ، لكن ازدهر ازدهاراً كبيرا في العصر الأموي والعباسي، وقد أهتم الأمويين بالعلوم النقلية، وهي العلوم ذات الصلة بالقرآن الكريم، كالتفسير والحديث الشريف وأصول الفقه والقراءات، كما اهتموا بالعلوم اللسانية كالنحو والصرف والبيان والبديع، أما في العصر العباسي فقد اهتم الخلفاء بالعلوم العقلية كالفلسفة والمنطق والرياضيات والطب والكيمياء[1]».

إن العلوم والتعليم كانا في ذروة تطورهما في عصور الأمويين والعباسيين إذ كان المسلمون يولون اهتماما كبيرا للعلوم وكانت تتوفر لديهم المراكز العلمية والمدارس والكتب والمكتبات التي سهلت عليهم التعلم والتطور في كافة المجالات العلمية وتحديدا في عهد الخليفة الرشيد هارون الرشيد حيث شهد العالم الإسلامي تطورا كبيرا في العلوم الروحانية والفلسفية والرياضية والطبية وإنشاء العديد من المدارس العلمية والفلسفية والنبوية والطبية، وللتربية الإسلامية أهداف تميزها عن باقي أنواع التربية الأخرى.

«أصبحت بغداد كعبة العلماء والمتعلمين، وقد بلغت حركة التربية ذروتها كما قام الفلاسفة المسلمين بنقل الفلسفة اليونانية إلى اللغة العربية وأفاضوا في نشرها، كما مزجوا بين الآراء اليونانية والهندية في الرياضيات ، وبفضل المسلمين عرف الأوربيون أفاقا جديدة، وأيقظوا العقل الغربي بعد سبات عميق في العصور الوسطى[2]».

ومن هنا نلاحظ أنه انطلاقا من دعوة الإسلام إلى طلب العلم، وتشجيع العلماء، استطاعت الأمة الإسلامية أن تخلق تراثا علميا منقطع النظير، واستطاع الإسلام والمسلمين في قرون قليلة أن تتقدم الإنسانية وبالعلم والثقافة والفكر .

ومن هنا نرى أن التربية قبل الإسلام في عهد الجاهلية كانت تربية علمية أدبية ترتبط بإعداد الفرد للحياة العملية إضافة إلى التربية العلمية عند الحضر، أما بظهور الإسلام الذي جاء ليتم مكارم الأخلاق، فقد ظهرت وفي مختلف أماكن تواجد الإنسان التربية الدينية الروحية وهذا هو الهدف الأسمى للدين الإسلامي .

فالتربية الإسلامية شاملة للجسد والروح والعقل وهي متكاملة تصلح لكل زمان ولكل مكان، إذن التربية في العصور الوسطى كان هدفها يحمل معنيين :

1- **عند المسيحيين:** هدف التربية هو إعداد الفرد للحياة الآخرة والزهد في الدنيا .

2- **عن المسلمين:** هدف التربية هو إعداد الفرد للحياة الدنيا والحياة الآخرة.

أما التربية في العصر الحديث فالحديث عن التربية في هذا العصر يقودنا إلى الحديث عن أهم النظريات والمدارس التربوية التي ظهرت فيه، وهذا ما سنتطرق لدراسته في المبحث الثاني من الفصل الأول.

[1] - محمد حسن العمايرة، المرجع السابق ، ص 177

[2] - محمد حسن العمايرة ، المرجع السابق ، ص 177

المبحث الثاني: التربية من المنظور الفلسفي:

نتطرق في هذا المبحث إلى الفلسفات والمدارس الكبرى في التربية .

المطلب الأول: الفلسفة المثالية:

تعتبر التربية في الفلسفة المثالية هي عملية تنمية شخصية الإنسان وتطويرها، بحيث يكون الإنسان قادرا على تحقيق الكمال والإتقان والسعادة .

وتعتبر التربية في الفلسفة المثالية عملية مستمرة لا تنتهي حيث يسعى الإنسان دائما لتحقيق الكمال.

« تعود هذه الفلسفة بأصولها إلى المفكر اليوناني **أفلاطون** الذي يعد الأب الروحي لهذه الفلسفة في القرن الخامس ق.م، وكذلك الفيلسوف اليوناني سقراط، مبادئها وأفكارها تعود إلى هذين الفيلسوفين بصورتها القديمة، وأما في القرنين الخامس والسادس عشر، فقد انتشرت (المثالية) بشكل واسع على أيدي (**رينيه ديكارت**) (1596-1650).**وجورج باركلي** (1685-1753).**إيمانويل كانت**(1724- 1804).**جورج فريديريك هيجل** (1770-1831)» [1] .

إن الفلسفة المثالية من أهم الفلسفات الكلاسيكية وأقدمها في الثقافة الغربية، وترجع جذورها الأولى إلى الفلسفة اليونانية ويعد الفيلسوف الشهير أفلاطون رائد لها وأحد أبرز ممثليها .

« والمثالية تعني مذهب فلسفي ينكر حقيقته ذاتية الأشياء المتميزة ولا يقبل منها إلا الفكر وأما المعنى اللغوي لها: فالمثالية هي الخير والفضيلة والسمو نحو المثل العليا[2] ».

بمعنى أن مفهوم الفلسفة المثالية يقوم على تمجيد عقل الإنسان والروح والسمو بها نحو عالم المثل.

« وتقوم النظرة المثالية لهذا العالم على أساس الازدواجية، برأيهم أن هناك عالمين: أحدهما مادي وهو العالم الأرضي وهو عالم الخبرات اليومية، وأما الأخر فهو العالم الروحي، وهو عالم الأفكار العلوي عالم الغيب وهو في عالم أخر غير عالمنا هذا[3]».

إذا الفلسفة المثالية تؤمن بوجود عالمين مترابطين العالم الروحي والعالم المادي عالم مثالي حقيقي وهو عالم الأفكار الثابتة المطلقة الأزلية وهو أفضل وأكثر سموا من العالم الأرضي ويمكن

[1] - محمد الطيطي وآخرون ، مدخل إلى التربية ، دار المسيرة ، عمان، ط1 ،2002 ،ص 77
[2] - المرجع نفسه ، ص 77-78
[3] - محمد الطيطي وآخرون ، المرجع السابق ، ص 78

الوصول إليه عبر السمو نحو المثل العليا، بعيدا عن العالم الأرضي الذي هو عالم الخبرات اليومية والذي يعتبر عالم ماديا فان.وهذه رؤية تفسيرية وغير مادية للكون.

« وتنظر الفلسفة المثالية للإنسان على أنه كائن روحي يمارس حرية الإرادة وهو مسؤول عن كافة تصرفات، لذالك فإن جوهره تمتنع عن التعريف[1]» .

الفلسفة المثالية تنظر إلى طبيعة الإنسان على أنه عقل وروح والعقل البشري يبحث للوصول إلى الحقيقة النهائية المطلقة الموجودة في عالم الأفكار أي عالم المثل ، ولا يمكن للإنسان الوصول إليها إلا عن طريق التفكير والعقل.

تطبيقات الفلسفة المثالية في الجانب التربوي:

« المثالية تهتم بأغراض التربية أكثر من اهتمامها بطرق التدريس، المثاليين يذهبون إلى أن دراسة العلوم الإنسانية أو كل ما يتصل بالإنسان نفسه أكثر عامية من العلوم الطبيعية ، فنشاط العقل ونواحي الخبرة الإنسانية وما نسميه ثقافة وفنا وأخلاقا ودينا وما إليها ، تؤدي بطبيعتها إلى صميم الحقيقة أكثر مما تؤدي دراسة الأشياء في ذاتها[2]».

ومن هنا نفهم أن المثالية ترتكز على دراسة العلوم النظرية التي تهذب العقل وتبعده عن الجانب المادي الجسمي، من أجل الوصول بأفكاره إلى العالم الأخر، أي أن مصدر المعرفة هو العقل ولا وجود لحقيقة إلا في العقل .

« **المعلم** هو المثل الأعلى للتلاميذ وهو قدوتهم الحسنة وهو المرشد والمسؤول عن وجود بيئة تعليمية فاعلة، لتوليد الأفكار وتثبيت المعرفة في ذهن التلاميذ وعقولهم. والمعلم هو المحور الرئيسي في العملية التعليمية التعلمية فهو الفيلسوف والأكاديمي والمفكر وصاحب الدراية العلمية والأخلاقية ، والتلميذ هو تابع للمدرس وعليه الإطاعة والتعاون وأن ينفذ الأوامر والتعليمات التي تصدر عن المعلم ، وعليه احترام القيم الروحية للآخرين[3] » .

يتضح لنا أن المعلم في الفلسفة المثالية ذو دور رئيسي في توجيه التلاميذ وإرشادهم لاكتشاف العالم وتحقيق الأهداف المرجوة وهو محور العملية التعليمية التعلمية ، والمتعلم هو المتلقي هو الوعاء الذي يصب فيه المعلم المعارف والعلوم .ومن هنا وجب الإيمان بقيمة التعليم والتنمية المستمرة والفهم العميق للمهمة التعليمية.

« أما **المناهج**، لقد أتبعت المثالية منهج واحد ثابت لا يتطور فهو عبارة عن منهج تتراكم فيه المعلومات والمعارف بدون تغيير أو تجديد ، والمثالية تعارض تدريس التلاميذ مواد لم يثبت صلاحيتها. لذالك يتم الاختبار للمواد بكل دقة للاستفادة منها في أمور الحياة ، كما أن لا دور للمتعلمين في تخطيط المناهج وتصميمها فهو دور محدود لا يذكر[4] » .

---

[1] - وائل عبد الرحمان التل، أحمد محمد شعراوي، أصول التربية : الفلسفية والإجتماعية والنفسية، ط2، دار الحامد، عمان، الأردن، 2007 ، ص

[2] - محمد الطيطي وآخرون، المرجع السابق ، ص 53

[3] - محمد الطيب وآخرون ، مدخل إلى التربية ص 79

[4] - المرجع نفسه ، ص 79.

إذا المثالية تركز اهتمامها على المعلم والمنهاج ومحتواه بالدرجة الأولى، أكثر من اهتمامها بالمتعلم الذي كان دوره هو تلقي المعارف من طرف المعلم، هذا الأخير هو النموذج والقدوة لهؤلاء المتعلمين من أجل تحقيق أهداف التربية.

من أهم رواد الفلسفة المثالية :

- **أفلاطون (347-427 ق.م)* :**

آراءه في التربية :« لم يشهد التاريخ فيلسوفا ومربيا قبل أفلاطون، أنشأ فلسفة جامعة ونظاما شاملا لنواحي الفكر التربوي وجوانب الفكر عامة، ... ولذا لم تعد التربية والفلسفة قبل أفلاطون أن تكون مجموعة من أراء متناثرة ونظريات وملاحظات تشمل الإنسان والمجتمع والكون بأسره. ثم أتى **أفلاطون** وأخذ خير ما عند **الفيثاغوريين والإيليين،** وأحسن ما أنتجه **سقراط وهرقليدس،** وهكذا قطف أجمل أزهارهم وقدمها للعلم فلسفة جديدة من خلقه وإنشائه»[1]

يعد أفلاطون أشهر فلاسفة اليونان على الإطلاق وأكثرهم طلبا للمعرفة والعلم والدراسة، وهو تلميذ الفيلسوف سقراط وأصبح بعده معلما وأسس أكاديمية في أثينا وفلسفته خلاصة الشتات جمع فيها مفاهيم السابقين وصقلها ونسجها في واحدة من أجمل الزهور التي ربما قدمت للفلسفة وأتاحت للعلماء فرصة للاستفادة منها والتعمق في مفاهيمها وتطوير مستقبلها.

وقد ظهرت أراء أفلاطون جلية في كتابه **الجمهورية** ونلخصها بما يلي :

- «التربية عملية إرشاد وتوجيه للطفل لتكوين الرجل الحر .
- ينادي أفلاطون بطريقة الحوار والتي اتبعها في التربية .
- يجب أن يتاح للصغار مبدأ تكافؤ الفرص في التعليم
- على الفرد أن يجود بما عنده من خير وفق ما أعطته الطبيعة من مواهب
- ركز أفلاطون على تمنية العقل والجسم من خلال دراسة الأخلاق والرياضة والفن ، وقد فضل الموسيقى على الرياضة فهي تهذيب للنفس [2] ».

تعد الفلسفة الأفلاطونية واحدة من أشهر واهم الفلسفات التربوية في التاريخ حيث قدمت رؤية فلسفية متكاملة في مجال التربية والعليم ولقد اهتم أفلاطون بالتربية في كتابه **الجمهورية** وقدم نصائح في التربية. فالتربية هي الأجمل عنده، فالتربية الصالحة والسلوك الحسن ترمي إلى إعداد الإنسان الصالح المثالي للوصول إلى معرفة الخير وغرس الفضيلة، وهذا ما تسعى إليه الإنسانية.

«لقد وضع أفلاطون خطة لتربية الشبان والأطفال وهي كالأتي : تبدأ تربية الطفل في سن السابعة ويستمر إلى سن 16 أو 17 ويتعلم فيها ضروب الرياضة والموسيقى، فالغرض من

*أفلاطون (347-427) ق.م (أرستوكليس بن ارستون)،فيلسوف يوناني، ينتمي إلى عائلة شريفة، تتلمذ على يد سقراط لمدة 8 سنوات تأثر بفكره وفلسفته، وبعد إعدام سقراط هاجر أثينا متنقلا بين إيطاليا وصقلية وليبيا ومصر، عاش في حياته كبار حكماء وفلاسفة عصره وعلى رأسهم إقليديس ، وعند عودته إلى أثينا أسس مدرسة المعروفة بالأكادمية. **أنظر: يوسف كرم، تاريخ الفلسفة الحديثة، لجنة التأليف والترجمة والنشر، ط6، 1972م، ص62.**

[1]–سعيد إسماعيل علي ، التربية في الحضارة اليونانية ، دار علم الكتب ، القاهرة، ص 136

[2]– محمد الطيطي وآخرون، ص 81

الرياضة إصلاح شأن الجسم، أما الموسيقى فهي من أجل انسجام الروح. ومن سن 17 إلى 20 يتعلم الفنون العسكرية في هذه المرحلة تظهر شجاعتهم[1]» .

يتضح لنا أن هدف أفلاطون من التربية هو صقل طبيعة الإنسان وتنميته وجعله مواطنا صالحا ومنضبطا في مجتمعه يتصف بالشجاعة صالح لتسيير الدولة، فهو يرى أن أسمى الفنون هو السياسة.وقد عمل على ذلك من خلال تقسيم عمر الإنسان إلى مراحل مختلفة يتعلم فيها مهارات مختلفة تستهدف تنمية وتنظيم مختلف الجوانب في طبيعة الإنسان وهذا المنهج التعليمي يؤكد على إن الإنسان يتعلم ويتطور على مر الزمن وبناءا على مراحل تطور طبيعته واحتياجاته.

المطلب الثاني : الفلسفة الواقعية:Réalisme

تعتبر الفلسفة الواقعية التربية عملية تنمية قدرات الإنسان وتطويرها وتوسيعها ولكن تحديدا بما يتعلق بالواقع والحياة العملية .

«تعود هذه الفلسفة إلى مؤسسها أرسطو (322-384 ق.م) ،تلميذ أفلاطون المعروف بنظرته الواقعية التي اختلف فيها عن الفلسفة المثالية الأفلاطونية من حيث نظرتها إلى العالم الخارجي والطبيعة الإنسانية والقيم الروحية ، فلها ثقة كبيرة بالحس ومدركاته، وهي تعتقد أن العالم الخارجي ، موجود بالفعل وإن كان بعيدا عن متناول مدركاتنا الحسية، وأن الواقع هو مصدر جميع الحقائق[2] » .

نفهم من هذا أن هذه الفلسفة جاءت كرد فعل على الفلسفة المثالية، وقد خالفتها في نظرتها إلى العالم الخارجي ولطبيعة الإنسان فهي ترى أن الحقائق مصدرها الواقع أي العالم الخارجي.

وقد أرجعت مصدر الحقائق إلى الواقع ،وأن الواقع هو الذي يملي أوامره على العقل، وأيضا تؤمن الفلسفة الواقعية بالحقائق الخالدة الثابتة التي لا تقبل التبديل أو التغيير.

تطبيقات الفلسفة الواقعية في الجانب التربوي :

سنستعرض نظرة الفلسفة الواقعية للمعلم والمتعلم والمنهاج في ما يلي:

« المعلم: يرى الواقعيون أنه محور العملية التربوية الرئيسي وهو الذي يقرر ماهية ونوع المواد التي تدرس، وعليه أن يقدم لتلاميذه المعرفة الواقعية الواضحة، و أن يكون دائما مع الحق ولا بجانبه ، كما أنه يحترم الحقيقة أما **المتعلم:** عليه أن يكون متسامحا، وأن يكون منسجما عقليا وجسميا مع البيئة المادية والثقافية، وأن يتعامل مع المعرفة التي ظهرت عبر التاريخ، كما أن عليه أن يتعلم من المفكرين حول الحقيقة في هذا العالم قبل أن يعرف ما سيعمله وما يمكن عمله في هذا العالم[1]».

إذا الفلسفة الواقعية أعلت من شأن المعلم وجعلت منه محور العملية التربوية ولابد من إعداده جيدا، لكي يعود بالفائدة والمنفعة على المتعلمين، ولأنه المسؤول على تقديم الواقع والخبرة الحسية.

وغاية التربية عند الفلسفة الواقعية هي الوصول بالمتعلم إلى اكتساب طرق التفكير المنطقي من أجل الوصول إلى الحقيقة.

---

[1]– بول منرو، صالح عبد العزيز ، المرجع في التاريخ التربية ، ط .2022 ، دار الكتب المصرية، مصر، ص 144

[2]– محمد الطيطي و آخرون، المرجع السابق، ص82

[1] - محمد الطيطي وآخرون ، المرجع السابق ، ص ، 84

أما« **المنهاج**: ترتكز الواقعية على انتقاء المناهج تتميز بالحيوية، بحيث يتم نقل المعرفة الخاصة بالحقائق والمبادئ العلمية، وتعطي الحقائق بحيث تراعي الإهتمامات والميول الطبيعية للمتعلم مثل اللعب والحركة والنشاط الجسمي.كما ينظر الواقعيون إلى أن المنهج هو مجموعة من الحقائق المتراكمة تدور حول المعرفة المتصلة بالعالم الطبيعي والاجتماعي والثقافي[1]» .

من هنا نفهم أن الواقعية أكدت على ضرورة تنويع المواد الدراسية من علوم وفنون وإعطاء أهمية كبيرة لإكساب المعرفة دون أن ننسى مراعاة اهتمامات المتعلمين وميولهم في الواقع المعاش.

من أهم رواد الفلسفة الواقعية :

جون لوك *(1632-1704) John Locke:

أرائه التربوية تمثلت في :

هدف التربية في نظر **جون لوك** « أن التربية الطبيعية للفرد تربية متكاملة تشمل تربية الجسم والعقل والخلق وهو يشير إلى أن العقل السليم في الجسم السليم ، إلا أنه ركز اهتمامه على التربية الخلقية وتعليم الفضيلة والحكمة والسلوك السليم والعادات الطيبة، وأهتم أيضا بالتعليم المعرفي ونادى بأن يكون أسلوب التعليم بدون خوف وإنما بالحب والعطف والثناء والتشجيع ولا يحبذ العقاب الشديد[1]» .

إذا التربية في نظر **جون لوك** ركزت على تهذيب السلوك وتشكيل العقل وتعليم التربية الخلقية من أجل غرس العادات الطيبة ومبادئ الفضيلة والحكمة دون أن ننسى أن ينادي إلى التعليم باللعب والترغيب دون ترهيب وهذا ما تنادي به التربية الحديثة.

« يؤمن **لوك** بأهمية الخبرة الحسية في المعرفة، وأعتبر الحس أساس المعرفة، فالعقل عنده صفحة بيضاء يستمد خبرته من مصادر البيئة الخارجية وأكد على التدريب العقلي لتدريب الملكات، أعتبر الرياضيات خير وسيلة لذالك عن طريق الحواس[2]».

الملاحظ أن **جون لوك** أرجع مصدر المعرفة إلى الحس وأن العقل يولد صفحة بيضاء، ويستمد كل خبراته من تجاربه وعاداته ومن بيئته الخارجية.لذلك يؤمن بأهمية الاهتمام بتدريب الحواس وتنمية قدرات الإنسان في استخدام حواسه بشكل صحيح

ومن هذا المنطلق تعتبر فلسفة **لوك** من ابرز الفلسفات التي تبناها التعليم الحديث حيث أعطيت أهمية خاصة للخبرة الحسية وتدريب العقل في تعليم الأطفال وتحضيرهم للحياة.

---

[1] - المرجع نفسه ، ص ، 85

*- جون لوك ولد في ضواحي مدينة بريستول بإنجلترا عام 1632 وعندما بلغ الرابعة عشر دخل مدرسة وستمنستر وأستمر بها ثم دخل جامعة أكسفورد، وبعد تخرجه عين مدرسا للغة اليونانية والخطابة والفلسفة في بالجامعة ذاتها، وفي أواخر أيامه إشتغل بالسياسة،ثم أقبل على التأليف، ون أشهر مؤلفاته (أراء في التربية) و(مقالة في العقل البشري) توفي 28 أكتوبر1704.

- بشار مالك سليمان الفلسفة جون لوك، وإبعادها التربوية 2015 دراسة تحليلية وصفية أعدت لنيل درجة الماجستير في أصول التربية. "كلية التربية ، جامعة دمشق ، ص28.

[1]–عبد الغني محمد إسماعيل العمراني ، أصول التربية، ص 212

[2]– المرجع نفسه ، ص 213

« ينظر إلى التربية على أنها عملية تدريب وتهذيب للملكات والاستعدادات، ويقسم التربية تبعا لذالك إلى ثلاثة أقسام وهي: التربية البدنية والتربية العقلية والتربية الخلقية، ولكن بالرغم من أن مفهوم التربية عنده يشمل هذه النواحي الثلاث، فإنه يعطي أهمية أكبر للناحية الأخلاقية وسخر الناحيتين الأخريين لخدمة هذه الناحية الأخلاقية[1] ».

إذا التربية عند **جون لوك** تضع الجانب الأخلاقي في الصدارة ، فالهدف الأخلاقي هو الهدف العام للتربية ، ويلخص بقية الأهداف الأخرى سعيا للوصول إلى تحقيق نمو متكامل لشخصية التلميذ، وتهذيب وتنمية جسمه وعقله وخلقه .

المطلب الثالث: الفلسفة الطبيعية Naturalisme:

ركزت فلسفة التربية الطبيعية على أن الطبيعة هي المرجعية الأساسية لتنمية الإنسان، وأن التربية تكمن في توفير البيئة الملائمة للإنسان ليتفاعل مع الطبيعة ويكتسب منها المعرفة والمهارات الضرورية للحياة. وتتبع هذه الفلسفة منهجا تعليميا متكاملا يجمع بين المعرفة النظرية والخبرة العملية.

« ترجع الفلسفة الطبيعية إلى الأيام الأخيرة من النهضة العلمية عندما ضعفت الإنسانية وأصابها الركود ... وقد كانت ثورة على منطق العصور الوسطى وجفاف التعليم وقلة فائدته ، فبعد أن كانت دراسة الإنسان عن طريق آدابه متمثلة في تاريخ الإغريق والرومان، تدهورت هذه الحركة عندما تحولت الدراسة إلى دراسة كلمات وعبارات جوفاء لا صلة لها بالحياة ، ومن الطبيعي أن يتلو هذا الجمود حركة طبيعية تعيد الحياة إلى التربية طلقاتها وتبعث فيها حياة جديدة[2]».

الفلسفة الطبيعية تمتد إلى القديم وصولا إلى الفلسفات اليونانية القديمة وكان ظهورها كرد فعل على الظروف السائدة في القرن الثامن عشر، أي في عصر الظلمات حيث سيطرت الكنيسة ورجال الدين وانتشر الركود الفكري و الزهد والالتزام بالعبادة فقط .

«وتقوم فكرة ومبادئ هذه الفلسفة على الطبيعة الخيرة ، مادام لم تلمسها يد الإنسان، فكل شيء يصبح دمارا حين تمسه أيادي الإنسان ، فإذا أردنا الخير للإنسان فلابد من إبعاده عن عمليات التطبيع والتكيف الاجتماعي. لذا يجب ترك الطفل يتعامل مع الطبيعة والعالم الطبيعي المثالي الخير[3]» .

نلاحظ أن أصحاب هذه الفلسفة يرون أنه إذا أردنا تحقيق الخير للإنسان فان الطريقة المثلى لذلك هي الإبقاء عليه بعيدا عن التطبيع وان الإنسان يولد خيرا وتحدث له تغيرات وضغوطات من خلال انغماسه في المجتمع ومع هذا علينا أن نسمح له بتجربة العالم الطبيعي حتى يتمكن من اكتشاف الأشياء التي تجعله سعيدا ومرتاحا .إذن الفلسفة الطبيعية ترى أن في الطبيعة الحلول لكثير من مشاكل الإنسان.

---

[1] - محمد التومي الشيباني ، المرجع السابق، ص 137

[2] - جيمس. س. روس ، تر: صالح عبد العزيز، الأسس العامة لنظريات التربية، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، 1949، دط. ص54

[3] - محمد الطيطي وآخرون، مدخل إلى التربية، ص 86

أهم مبادئ الفلسفة الطبيعية التربوية كما يلي :

يمكن ذكر بعض مبادئ الفلسفة الطبيعية في ميدان التربية والتي تمثلت في

« إن تربية الطفل هي المصدر الوحيد للمعرفة والطبيعة هي الكتاب الذي يهتم برعاية وثقافة الطفل في المنهج الطبيعي يركز على تنمية طبيعة الطفل والاهتمام بميوله وتربيته إنسانيا وإعداده للحياة المستقبلية القادمة لذلك تؤمن هذه الفلسفة بالأنشطة الصيفية مثل الرحلات وغيرها كوسيلة لتنمية ميول واهتمامات وقدرات الطفل[1]» .

إن اهتمام فلاسفة الطبيعة بالتربية و والطفل والغرض من هذا الاهتمام هو جعل حياة الطفل ممتعة مفيدة للوصول إلى نمو الطفل نمو طبيعي وفق ميوله ويختار ما يليق له دون أي تدخل أو اعتراض من الآخرين.

« يرون المدرسة بيئة متتالية تنساب بين زواياها روح التجربة التي تساعد على نمو الطفل ويكرهون ذلك النوع من المدارس التي تستخدم طرق الغير طبيعية كالتدريس العقلي، الذي يعتبر التلاميذ من درجة واحدة ،يتعلمون بنفس السرعة، وتتبع معهم نفس الطريقة الواحدة[2] ».

إذن نرى المدرسة الطبيعية تتبنى فلسفة تعليمية تنطلق من فهم الطفل وحاجاته الطبيعية فالمدرسة هي بمثابة بيئة متتابعة تسمح للطفل بالتجربة والتفاعل والتعلم بشكل طبيعي وسليم و هناك مهاجمة من الطبيعيين لنظام المدارس الموجود آنذاك وتدعو إلى توفير الإمكانيات والأدوات اللازمة للطفل كي يتمكن من تجربة محيطه الطبيعي ويكتسب المعارف اللازمة التي تفيده في حياته.

«يجب أن يكونوا المربي في نظرهم حريصا ، فلا يتدخل في عمل الطفل ويمنعه من استخدام أي طريقة من طرق التعلم ،والمفروض عليه ألا يؤثر في الطفل بأي شكل ،فعليه أن يعمل من وراء ستار فهو شاهد محايد فقط وعليه أن يلاحظ نمو الطفل وأن يتجنب استهواءه والإيحاء إليه بالأفكار أو المثل العليا أو نظريات الأخلاق والحكم الأخلاقي بل تلك أمور موكول الطفل يحثها بنفسه يبحث متى يتعلمها وكيف يتعلمها[3]».

من خلال هذا نرى أن الفلسفة الطبيعية تشجع الطفل على أن يتعلم بنفسه وهذا ما يساعده في تنمية طبيعته الخيرة دون تدخل من المعلم أول مدرسة، الذي اقتصر دوره على التوجيه والإرشاد خاصة التوجيه إلى قراءة كتب لكن مع مراعاة الميول والاهتمامات والرغبات .

ومن أهم رواد هذه المدرسة الطبيعية هو **جون جاك روسو**.

---

[1]- المرجع نفسه ، ص 87.

[2] - جيمس. س. روس ، المرجع السابق، ص 59

[3] - المرجع نفسه، ص 59

جان جاك روسو* **(1712-1778):**

« من أشهر ما كتب **روسو** هو كتاب **"إيميل والتربية"** فهو مرجع مهم وتحليل معمق للطبيعة البشرية والتربوية حيث قام بتفسير التربية بما يتناسب وأعمار الأطفال إلى خمسة أقسام أو أكثر[1]» .

إذا كان اهتمام روسو بالطفولة كبيرة وهذا ما ظهر في كتابه وطالب فيه بتربية المناسبة وملائمة لأعمار الطفل .

«وأهم ما يصبوا إليه روسو أن ينشأ في الطفل الشعور الاجتماعي ويؤكد على استقلالية النشأة ...بحيث يجب أن تتفق ميول النشء مع ما يريد المعلم فهو يقول يتبعوا مع النشء الطريق العكسية وهو يشعر النشأة بأنه هو صاحب الاختيار ،فلا توجد استجابة وتكريس إلا بالشعور بما يتعلمه المرء حرفيا هذا هو التكريس الحقيقي[2]».

إذن روسو يرى إن الطفل يولد أحيانا ببعض الميول الاجتماعية ولكن هذه الميول تبقى بحاجة إلى التنمية والتوجيه وعلينا ترك الحرية للأطفال للاكتشاف والتجربة .ليصبح قادرا على القيام بالاختيارات الصحيحة وأيضا يدفع بهم إلى التطلع لتحقيق المزيد من التعلم والنمو.وبهذا يتمكن الطفل من تجربة الحياة الاجتماعية ومن التفاعل والتأثير في مجتمعه وفي العالم بشكل عام.وقد انتشرت هذه الطريقة في تربية النشأة انتشارا سريعا في مختلف الدول الأوروبية.

من أهم آراء روسو عن التربية : يمكن أن نذكر منها

« الطبيعة هي المعلم الرئيسي، وأننا نتعلم عن معلمين لأنهم هم (الطبيعة والرجال والأشياء)، وقال روسو أن أفضل معلم هي الطبيعة ودعا إلى ترك الطفل ليتعلم من الطبيعة ويتفق على قدرة الخالق ودعا إلى عدم اعتماد الطفل على المدرسة والكتب فقط [1] ».

إذن **روسو** يدعو إلى ترك الطفل ينمو نموا طبيعيا دون تدخل المجتمع فالطبيعة هي المعلم الرئيسي للإنسان لأنها توفر بيئة جيدة لنموه وتطوره الشخصي وانه من خلال الاقتراب منها يتمكن من توجيه حياته دون الاعتماد على الكتب ولا المدرسة حيث سيكتسب الخبرة من خلال الممارسة والتجربة في العالم الطبيعي .

وقد تحدث روس عن تربية الطفل وقد قسم مراحل نموه إلى عدة مراحل نذكر منها .

---

*-جان جوك روسو (1712 -1778)،فيلسوف وأديب فرنسي ولد في جنيف كان على المذهب البروتستانتي تعلم الموسيقى واللغة اللاتينية قرأ معظم أعمال الفلاسفة أهم مؤلفاته رسالة إلى دالمير في المسرح 1758 وفي عام 1716 كتب العقد الاجتماعي وأخيرا كتاب ايميل سنة 1762.أنظر، فيروز العرفي ،نظرية العقد الاجتماعي عند جاك جون روسو،**أنظر: مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماستر،فلسفة غربية حديثة ومعاصرة،كلية العلوم الانسانية والاجتماعية، جامعة العربي التبسي، 2021، ص45.**

[1]-محمد الطيطي وآخرون، المرجع السابق، ص 89

[2]– عبد الغني محمد إسماعيل العمراني ، أصول التربية ، ص 261

[1]– محمد الطيطي وآخرون، المرجع السابق، ص 89.

« من الولادة إلى 12 سنة :ترك الطفل مع الطبيعة مع القليل من التوجيه من 12 إلى 15 سنة مطلوب من المعلم إعطاءه بعض الحقائق المحسوسة بدون طريقة التلقين .

من 15 إلى 18 سنة: تكون تربية عن طريق النموذج والقدوة الحسنة من أجل الإعداد للتفاعل والتكييف مع المجتمع [2]».

من خلال هذا التقسيم نلاحظ أن روسو في مرحلتي التربية الأولى أوكل أمر التربية للطبيعة وأمر المربي هنا سلبي .أما في المرحلة الثانية يساهم المعلم فيها بكل ما هو عملي ومفيد لذا وجب اختيار المواد بدقة، وينصح بدراسة العلوم الطبيعية من أجل تكوين الرصيد المعرفي أما في المرحلة الأخيرة أعطى قيمة للتربية الوجدانية والأخلاقية وهذا بمراعاة العواطف والأساليب والميول والرغبات لديه .

« وهذه أبرز الأهداف في كل مرحلة من مراحل التي حددها روسو للتربية يمكن أن نجدها تتمثل في مساعدته على تنمية جسمه، وتفتح شخصيته وتكملها، وتحقيق فرضيته وتعويده على الشجاعة والإقبال، والاعتماد على النفس... وتدريب تفكيره وإرادته وملكية الحكم لديه.وتربية روحه وعاطفته، وإعداده لحياة صغيرة متطورة[1]».

وفي النهاية نلاحظ أن الفلسفة التربوية التي جاء بها روسو تعتمد على التجربة والخبرة الشخصية في التعلم والتهذيب،وأيضا عدم الاعتماد على التلقين وعلى الكتب وخاصة في المراحل الأولى لأنها تشدد عقله وتجعله يردد أشياء لا يفهم معناها وتمنعه من الاعتماد على عقله وحواسه من أجل اكتشاف المفاهيم والحقائق .

وفي خلاصة القول نرى أنه جون جاك روسو عامل الطفل ك راشد واحترم ميوله ورغباته وجعله أساس للعملية التربوية ودور المربي هو ملاحظة الطفل واحترام ميوله ورغباته أو إشراكه في العمل والتجريب للوصول به في النهاية إلى التربية السليمة التي تسير وفق القوانين الطبيعية .

المطلب الرابع : الفلسفة الوجودية Existentialisme:

في المدرسة الوجودية تقوم فلسفة التربية على فكرة أساسية وهي أن الإنسان هو الذي يختار ويصنع معناه الخاص في الحياة وأنه يمتلك الحرية في اختيار ما يريد فعله وتحمل المسؤولية عن هذا الاختيار، فالفلسفة الوجودية ترى أن الحياة لا معنى لها إلا من خلال تجارب الإنسان وأفعاله.

«تركز الفلسفة الوجودية اهتمامها بالإنسان ...فهي تبدأ بالإنسان ووجوده الذي هو حقيقته لا تحتاج إلى برهان .فهدفها الأساسي (وجود كل ما هو موجود)، في الواقع والحقيقة، وهذه الفلسفة الوجودية تتناول مشكلات الوجودية للإنسان مثل مشكلة الحياة والموت والألم فهي تبحث عن الوجود الحقيقي ،ثم تحدد ماهيته بعد ذلك [1]».

إذن الوجودية هي حركة فكرية، جاءت نتيجة الأوضاع التي تعيشها أوروبا من قلق بعد الحربين العالميتين .وتركز الفلسفة الوجودية على الإنسان كونه كيانا موجودا بذاته وتركز على الخبرة الفردية للإنسان فتحفزه للبحث عن وجوده الحقيقي لذاته كإنسان مختلف عن الآخرين يحدد

---

[2]– المرجع نفسه ، ص 89

[1]– محمد التومي الشيباني ، المرجع السابق ، ص 168.

[1]– محمد الطيطي وآخرون ، المرجع السابق ، ص 90

بنفسه معناه وهويته ومصيره.وعن معنى الحياة والوجود .وفي هذه الفلسفة يعتبر وجود الإنسان كجزء من الوجود العام .

«إن الوجودية فلسفة فردية إلى حد بعيد، وتعتمد بدرجة كبيرة على العوامل الذاتية والحدس والاستبيان والالتزام العاطفي والشعور بالوحدة، وعلى هذا فإن أكثر الناس إعجابا بالوجوديـة هم أولئك الذين يـرون أن كل شيء في الحياة عديم المعنى وسخيف وقاس ومخيف[1]»

الملاحظ أن الوجوديين يرون أن الحياة هي عديمة المعنى والأحداث فيها خاسرة وسخيفة ومخيفة. وهذا ينعكس على حياتهم فيشعرون بالوحدة والعزلة والانعزال عن الحياة ومن هنا يستطيعون اكتشاف ذاتهم الحقيقة وصنع معنى جديد للحياة والوجود بما يتوافق مع شخصية الشخص الوجودي وهويته ومصيره.

أهم التطبيقات التربوية للفلسفة الوجودية : ومن أهم تطبيقاتها على الجانب التربوي نجد

« تنظر الفلسفة الوجودية للتربية نظرة تخالف تماما الفلسفات التي سبقتها، إذ تعتبر ثورة ضد شكلية التعليم بالنظرة الكلاسيكية للمعلم حيث ترى أن هدف التعليم هو إثبات المتعلم لذاته. وليس تحقيق لأهداف اجتماعية ...لذا ترى الوجودية أن بناء المنهج على أساس الفرد بصفته الشخصية لا على أساس الصفة الاجتماعية هو الأصل في العملية التربوية[2]».

إذن المعلم عند الوجودية لا يتبع الطرق التقليدية في التعليم مثل عملية التلقين. بل تدعو إلى توفير المناخ للمتعلمين وإعطائه الحرية في اختيار المحتوى والأسلوب الذي يراه مناسبا وبناء المواد الدراسية على أساس الفرد الفعلي الذي يساهم في صنع المنهاج الدراسية وتحليل الأهداف التعليمية مما سيساهم في تطوير هذا الفرد وشخصيته ومساعدته على إيجاد معنى لحياته ووجوده في هذا العام.

الوجودية والمتعلم: « يؤكد على الحرية الحقيقية للتلميذ بحيث يطور معتقداته بنفسه دون الاعتماد على أفكار الآخرين .فله الدور الأساسي في اختيار خبرته التعليمية ومكان التعلم، وتنظر الوجودية بإيجابية إلى التلميذ الذي يقوم بتطبيق ما تعلمه في حياته مهما كان قليلا[3]».

الوجودية تركت الحرية للمتعلم كي يسأل نفسه، ويصل بأفكاره إلى نتائج معينة ويرفض ويقبل أفكار ويصل بنفسه إلى نتائج تفكيره الحر. مما يتيح له فرصا اكبر لتطوير شخصيته وتحديد مساره الخاص في الحياة إذن الفلسفة الوجودية تعطي للمتعلم الحق الفعلي لاختيار استراتيجيات التعلم التي تتناسب مع حياته وأهدافه الحقيقة.

« الوجودية والمنهاج: تركز الوجودية على أن المنهاج يجب أن يصمم للفرد فقط بصفته والفردية وليس الاجتماعية ،فهو محور العملية التربوية ...بمعنى أن يتعلم تعليما عاما ومواد معينة لكي يتعايش مع العالم ويمارس حريته ونمو شخصيته، والمنهج الذي فيه الأهمية المرجوة هو:

[1] - محمد منير مرسي ، فلسفة التربية اتجاهاتها ومدارسها ،عالم الكتب ، القاهرة، 1995، ص 204.
[2] - عمر احمد همشري ، مدخل إلى التربية ، ط2 ، دار صفاء للنشر والتوزيع ، عمان 2007 ،ص 90
[3] - محمد الطيطي وآخرون ، المرجع السابق ، ص 92

الدراسات الإنسانية والتاريخ والفلسفة والأدب والفن، فهي تعمل على كشف العلاقات وفهم الأدوار وطبيعة الإنسان وصراعاته في العالم[1] ».

نستنتج أن الوجوديين يعطون أهمية لتدريس المواد العلمية والدراسات الأساسية لتمكين الفرد من مهارات العلم والتقنية ولكن بالإضافة إلى ذلك فانه يتم التركيز على المجالات الإنسانية والفنية والتي تعتمد على التركيز على الفرد والذات بالإضافة إلى التركيز على تاريخ الحضارات والصراعات الإنسانية.

الوجودية وطرق التدريس «فهي ترى أن الطريقة السقراطية أنسب طرق التدريس لما تحتويه من استقرار وفهم للإنسان لنفسه كما أن الطالب يتعلم ما يعتقده شخصيا بأنه حق.

فالمدرس سوف يقنع الطالب بأن يفكر وأن يسأل نفسه .ولا يجبره على قبول فكرة معينة. بل على الطالب أن يصل إليها شخصيا[2] ».

وبهذا الطريقة السقراطية التي اعتمدتها تجعل المتعلم قادرا على التفكير بحرية وأيضا قادرا على تبادل الآراء والحوار والخبرات الذاتية.ومنه يتم بناء المعرفة على تجربة الفرد الشخصية ليصل إلى تطوير شخصيته دون قيود ويفهم نفسه ويطور قدراته ومهاراته ومعارفه

ومن أهم رواد الفلسفة الوجودية: جان بول سارتن*(1905 -1980)

وقد تمثلت أراء سارتر التربوية في ما يلي:

«ارتكزت فلسفة سارتر الوجودية على فكرة أن الوجود أسبق على الماهية أي إن الإنسان ليست له طبيعة تحدد من هو وماذا يجب أن يفعل .وإنما يتوجب على العكس من ذلك إن يحدد كل فرد ذاته ،فطبيعة الإنسان بحسب سارتر إذا تحدد تبعا لتصوره هو لنفسه و بإدراكه لذاته بعد أن يوجد ، وإن الإنسان يضع نفسه. كما تركز فلسفته على عدم السماح للآخرين بتعريف الإنسان أو تحديده، لأن السماح للآخرين بتحديده ضد تقييد لحريته أو حتى إلغائها كليا [3] ».

إن أفكار الوجودية وارتكزت على أولوية الوجود على الماهية ،وأن الإنسان هو من يحدد ذاته وتصوره لنفسه باتخاذ القرارات المناسبة حيث يكتسب شخصية مستقلة وعليه فإن فلسفة التربية الوجودية تنظر للإنسان على انه كائن وجودي يخضع لتأثيرات وتجارب متعددة وان هذا الإنسان يحتاج إلى توجيه تربوي صحيح ليتمكن من تحقيق ذاته وتحديد هويته الشخصية ومن أهم المبادئ التي يركز عليها سارتر الفلسفة الوجودية .« إن الوجود الإنساني هو أهم القضايا في الكون وأنه ليس للعالم والمبادئ والكون أي معنا بدون وجود الإنسان، وهذا الإنسان حر في اختيار

---

[1] - المرجع نفسه ، ص 92

[2] - عمر احمد همشري ، المرجع السابق ص 90

*جان بول سارتر ، 1905-1980 جان بول سارتر فيلسوف واديب فرنسي ، ينتسب إلى المذهب الوجودي ،ولد في باريس سنة 11 يونيو 1905 بباريس مدرسة تدريس الفلسفة بين عامي (1931 -1945)،نشرت الثلاثة أبحاث جدل فيها وتطبيق منهج هوسرل الظاهري على الخيال والانفعالات من أعماله لكتاب نقد العقل الجدلي عام 1960 ومن رواياته الفتيان 1938، الجدار في 1939 ،...ومسرحيات منها الذباب 1944 موتى بلا قبور في 1946 المدن القذرة 1948. **انظر: فؤاد كامل، إعلام الفكر الفلسفي المعاصر، دار الجيل، بيروت، ط1، 1993 ،ص 215**

[3] - عمر احمد همشري ، المرجع السابق ص 92

المعايير الأخلاقية التي تناسبه، لأنها مرتبطة بحياته الشخصية وليس بالحياة الاجتماعية، وهو يفهم ويعرف نفسه، لذلك فهو يصنع نفسه بنفسه[1] ».

إذا أهم مبدأ عند الوجوديين هو أن الإنسان هو أهم ما في الوجود أو العالم المادي والكون لا وجود لهم بدون وجود الإنسان .وهذا يعني أهمية الإنسان الأساسية في هذا الكون فهو الذي يحدد معايره الأخلاقية بنفسه ويمتلك الحرية في اختيار ما يراه مناسبا وصحيحا ففلسفة الوجود تكرس مفهوم الحرية للإنسان.

المطلب الخامس: الفلسفة البراغماتية:

في الفلسفة البراغماتية تنطلق فلسفة التربية من فرضية أساسية وهي أن الإنسان يتوصل إلى المعرفة والحقيقة والوعي من خلال تجربته الشخصية وأن العقل البشري هو المنبع الأساسي للمعرفة والتعليم ، وأنه يجب أن يتعلم من خلال التجربة الشخصية الفعلية، فالخطأ والفشل والنجاح هي جزء أساسي من عملية التعلم والتطوير الشخصي .

« **البراغماتية pragmatisme :** الفلسفة البرجماتية هي الفلسفة العملية الأمريكية التي ظهرت على يد ثلاثة من أعلام الفكر الأمريكي هم:

- تشارلز بيرسي 1830-1914 .
- ويليام جيمس 1842-1910 .
- جون ديوي 1859- 1952. وكان **بيرسي** أول من أستعمل كلمه **براجماتية** سنة 1778 في مقاله كتبها بعنوان كيف نوضح أفكارنا، والإسم مشتق من الكلمة الإغريقية براجما ومعناها العمل[2]» .

تعتبر البراغماتية فلسفة عملية ظهرت في أمريكا وقد أطلقت عليها عده ألقاب منها النفعية أو التجريبية أو الأدائية...الخ. ويرجع الفضل في إرساء مبادئ هذه الفلسفة إلى الفلاسفة الأمريكان الثلاث كما سبق ذكره.

« وترتكز البراغماتية اهتمامها على الجانب المعرفي بصفه رئيسيه ولها أيضا بعض الاهتمام بالقيم والإيكولوجيا ولكن يقل اهتمامها بالجانب الإيكولوجي لان البرجماتية ترفض اعتبار الميتافيزيقا من المباحث التي تدخل في ميدان الفلسفة ويعتمد البراغماتيون أن الواقعة يتحدد بخبرات الفرد الحسيه ولا يستطيع أن يعرف الإنسان شيء خارج نطاق خبرته أي أن معرفته محدودة بنطاق خبرته[3]» .

إذن هذه المدرسة ركزت على الجانب المعرفي بشكل أساسي وبالأخلاق والقيم ودون الاهتمام الكبير بالجانب الأنطولوجي حيث ترفض الاعتبار الفلسفي للميتافيزيقا أيضا اعتمدت على فكره أن الواقعة يتم تحديده بخبرات الفرد الحسيه ولا يمكن للإنسان أن يعرف أي شيء خارج نطاقه خبرته الشخصية لذا فان معرفته محدودة.

---

[1] - محمد الطيطي وآخرون ، المرجع السابق ص 91

[2] - عبد الغني محمد إسماعيل العمراني ، المرجع السابق .ص227

[3] - منير مرسي ، المرجع السابق، ص 205

« كما أن أصحاب هذه الفلسفة يرون أن الحقيقة تعرف بالتجربة وهي تؤمن بالأسلوب العلمي وبالعقل لتحل المشكلات وكذلك باستخدام التجريب والطرق العملي الصحيحة وبما أن البرجماتية تنكر أن تكون المعرفة نظرية وتأملية لذلك فهي تقوم بإرجاع الحقيقة إلى المنفعة[1]»

يرى البراغماتيين أن الحقيقة يمكن تحديدها فقط من خلال التجربة واستخدام الطريقة العلمي والحقيقة يمكن تحديدها بالاعتماد على النتائج العملي والمنفعة التي يمكن الحصول عليها منها وهذا يعني الحقيقة والمعرفة يجب أن تكون منفعية.

«ولقد ظهرت البراغماتية أبان القرن التاسع عشر كثورها ضد الفلسفات التقليدية المثالية والواقعية وكان لها أثارها العميقة على الفكر التربوي لا في الولايات المتحدة فحسب بل في شرق الدنيا وغربها[2]».

اتضح لنا أن الفلسفة البرجماتية فلسفه قديمة لها جذور ضاربة في التاريخ الفلسفي وقد جاءت نتيجة عمل فلسفي جماعي نشا وتطور في مختلف مجالات الحياة الأمريكية وكرد على فلسفات ماضية .

« تعتبر النفعية الطفل خالقا للمثل في بيئته فمبدأ التربية عندنا هو الطفل وبيئته الطبيعية والاجتماعية والتفاعل بينهما هو الذي ينتج خبرته وهنا تلتقي الفلسفة الطبيعية والفلسفة النفعية إذا أن النفعية لا تتقيد بقيود الطبيعة فتجعل نمو الطفل وفقا لقوانينها الصارمة بل تتركه يجرب ما يشاء أن يجرب ولكن لما كانت الحياة نفسها خبرة طويلة فلا داعي إذن لتحديد هدف معين يبلغه الطفل في أي محاولة من جانب المربي لتحديد أهداف خاصة عمل لا جدوى منه[3]»

إذن المبدأ الأساسي للتربية هو الأخذ بعين الاعتبار بأن الطفل هو المنتج الرئيسي في بيئته الطبيعية والاجتماعية والتفاعل بينهما الذي يحدث هو ما يساعد في صنع خبرته وتطوره فالنفعيون لا يتقيدون بقيود الطبيعة لماذا تتم إتاحة الفرصة للطفل للتجربة والخطأ في ظل قدرته الذاتية دون تحديد أهداف محددة للوصول إلهيا لأن الحياة ذاتها تعتبر خبرة طويلة للطفل بل يجب تركه ليجرب ويتعلم بحرية.

« وتقوم الفلسفة البرجماتية على مجموعة من المبادئ أهمها:

1- تعتبر هذه الفلسفة أن الوصول إلى حقيقية الكون ووجوده امرأ مستحيلا فلا دليل على حقائق ثابتة لا تتغير ولا يتم معرفة الأشياء ومعناها الحقيقي إلا بالتجريب[4]»

يتضح لنا من هنا أن الوصول إلى الحقائق الثابتة والوجود الحقيقي للكون يعد امرأ مستحيلا وذلك لأنه لا يوجد دليل قاطع على الحقائق الثابتة الغير قابله للتغيير وبالتالي يتم فهم ومعرفه الأشياء ومعانيها الحقيقية فقط من خلال التجربة والتجربة وهذا يعني أن الفلسفة البرجماتية تعتمد بشكل كبير على المنهج العلمي في الاستنتاج والتحقق من الحقائق لفهم العالم وما حولنا .

---

[1] - محمد الطيطي وآخرون ، المرجع السابق .ص93

[2] - شبل بدران، احمد فارق محفوظ ، أسس التربية، ط5، دار المعرفة الجامعية ، الإسكندرية ، 2005، ص271

[3] - الأسس العامة للنظريات التربوية، المرجع السابق ، ص90

[4] - محمد الطيطي وآخرون ، المرجع السابق، ص93

2- « أن الديمقراطية أسلوب حياة وعمل ومن خلال استخدام العقل وان المجتمع الذي نعيش فيه متغير والإنسان بمساهماته الفعالة وقدراته الخلاقة يقوم بتطويره وبنائه وحل مشكلته[1] » .

بمعنى أن الديمقراطية ليست مجرد نظام حكم بليه أسلوب حياة وعمل يعتمد على استخدام العقل لاتخاذ القرارات وتحقيق الأهداف العامة للمجتمع الذين يعيش فيه والذي هو متغير ويحتاج إلى التطور والتغيير المستمر ويمكن تحقيق ذلك من خلال مساهمات الأفراد الفعالة وقدراتهم الخلاقة وبالتالي فالديمقراطية تساعد على تحقيق التنمية والازدهار الشامل للمجتمع وأبنائه وتطويره وحل مشكلاته بشكل فعال ومستدام.

3- « القيم نسبية وليست ثابتة فالقيمة تؤخذ بمعيار المنفعة أو إشباع حاجة ضرورية وملحة[2]» .

نفهم من هذا أن القيمة والمعايير التي تستخدمها في تقييم الأشياء والأفعال ليس ثابتة وتتغير حسب الزمان والمكان والثقافة والتطورات الاجتماعية والاقتصادية وبما أن القيامة نسبيه فان هذا يعني انه لا يوجد معيار واحد أو صحيح لتحديد القيمة الحقيقية للشيء وما يعتبر قيمة في مجتمع معين قد لا يكون كذلك في مجتمع أخر وفي وقت أخر.

4- « يستطيع الإنسان أن يتحكم بتشكيل مستقبله عن طريق استخدام الخبرة الإنسانية في السيطرة على البيئة[3]» .

بمعنى أن الخبرة الذاتية للفردية وسيلة لمعرفة العالم الخارجي وتعلمنا كيفية التعامل معه فالإنسان اجتماعي بطبعه وأيضا لديه القدرة على السيطرة على مسار حياته وتشكيل مستقبله وكل هذا بواسطة الخبرة والمعرفة المكتسبة عن طريق التجارب والأخطاء واستخدامها الفعال في التعامل مع العوائق والتحديات التي يواجها وهذا ما يؤيد أهمية العلم والمعرفة في تطوير الذات وفي تحقيق النجاح والتقدم في الحياة.

أهم التطبيقات التربوية في الفلسفة البراغماتية:

« المعلم اعتبرته هذه الفلسفة بأنه مرشد يسهل عملية التعلم، فهو يخطط وينظم ويوجه العملي التعليمية التعلمية، ولم تجعل من المعلم المحور الرئيسي في العملي التربوية وطالبه المعلم أن لا يكون عمله التدريس فقط، بل يساعد في اختيار الخبرات التي ستقدم للطفل لكي يتفاعل معها ويعمل على مساعدته في حل مشكلاته[4]» .

إذن اعتبرت البراغماتية التلميذ هو محور العملية التعليمية التعلمية، والمعلم هو الموجه وهو المنظم والمرشد فقط، الذي يسهل عملية التعلم وعليه أن يتصف بكل الصفات الحميدة، ويكون مطيعا ومخلصا، وأيضا عليه المشاركة في اختيار الخبرات التي يتعرف عليها المتعلم وبذلك تصبح عملية التعلم أكثر فاعلية ونجاحا، حيث يتم تحفيز المتعلم على الاستمتاع من التعلم بدلا من مجرد الحفظ دون فهم.

---

[1] - المرجع نفسه ، ص 94

[2] - محمد الطيطي وآخرون، المرجع السابق، ص94

[3] - المرجع نفسه ، ص 94

[4] - المرجع نفسه ، ص 94

« أما المتعلم فقد جعلت البراغماتية من التلميذ محورا أساسيا في العملية التربوية، وطالبت بأن ينبع النظام من الطفل نفسه ومن إحساسه بالمسؤولية، ومن خلال المشاركة والتوعية بأهمية النظام المدرسي[1] ».

إذن المتعلم حر في اختيار أفكاره ومعتقداته وقيمه، ووضع قراراته التربوية، لأنه مركز أساسي في العملية التربوية التي تحث على أن يكون المتعلم هو المسؤول الأساسي عن نجاح تعلمه وتطوير شخصيته، والفلسفة البرجماتية تتمحور حول الطالب وقدراته واحتياجاته مما يؤدي في النهاية إلى تحقيق أفضل النتائج في العمليات التربوية، وأيضا تنمية الشخصية الكاملة للطالب وتحفيزه على النمو الفكري والاجتماعي والنفسي.

« المنهاج: أما المناهج يجب أن تحتوي على معلومات وخبرات تتصل بالحياة الإنسانية، فهي عبارة عن مجموعة من الفنون اليدوية والمهارات الاجتماعية وحل المشكلات ومهارات الحياة واللغة ومهارات الاستهلاكية في المواد الدراسية، يجب أن ترتبط بالعالم المتغير الذي ليس فيه ثبات فالمنهج يجب أن يتكامل مع الأنشطة اللاصفية التي تشبع ميول الأطفال ومواهبهم لضرورتها الملحة من اجل نمو متكامل، لذلك ركزت المناهج على استخدام المختبرات والمكتبات بشكل أوسع[2]» .

إذن المناهج ركزت على نشاطات الطفل الذاتية وحاولت الوصول إلى إشباع ميول الأطفال وتوجهاتهم بعيدا عن الحشو وكثره المواد الدراسية.

من أهم ورادها

جون ديوي 1859.1952:وقد سبق ذكر حياته في صفحات سابقة

« يعد ممثلا للفلسفة البرجماتية القائمة على التغيير والعملية التجريبية، وقد كان عملاقا في هذا الميدان وكتب العديد من الكتب، كان أولها: كتاب المدرسة والمجتمع سنة 1899 الذي خلص فيه إلى أن المدرسة هي المجتمع، وكتاب أخر هو الديمقراطية والتربية عام 1916 ركز فيه على أهميه حرية المتعلم في اختيار أفكاره ومعتقداته وقيمه، وكتابه الطفل والمنهج الذي احدث ثوره في عالم التربية، إذ عدَّ الطفل محور العملية التربوية ومركز الجاذبية فيه، وان المدرسة وجدت للطفل وهي خادمه له[3]» .

فيلسوفنا الأمريكي **"جون ديوي"** من الرواد الذين سعوا إلى بناء مناهج تربوية على أسس اجتماعيه جديدة، فكان لفلسفته أثرا قويا في فلسفة التربية في أمريكا ثم في العالم ككل وقد ترك الكثير من المؤلفات والكتب التي تعتبر تراثا ومرجعا مهما في المجال التربوي .

« ويعتبر **"ديوي"** أن المدرسة عبارة عن مجتمع مصغر، يجب أن يحمل مقومات المجتمع الكبير وان يرتبط بكل ما يجري به، لذا يؤكد على أن التربية ليست أعدادا للحياة، بل هي الحياة

[1] - محمد الطيطي وآخرون، المرجع السابق، ص94 .
[2] - المرجع نفسه ، ص 95.
[3] - عمر احمد همشري، المرجع السابق، ص95

ذاتها، وهي عملية نمو مستمرة تقوم على إكساب الخبرة للمتعلم كما تعتبر عملية اجتماعيه تقوم على التفاعل في جو ديمقراطي[1] » .

نفهم من هذا أن الفيلسوف الأمريكي **"جون ديوي"** يعتبر أن المدرسة هي مجتمع صغير، يجب أن يحمل مقومات المجتمع الكبير، وبناءًا عليه فإن التربية ليست إعدادا للحياة، بل هي الحياة في حد ذاتها، وهي عملية نمو مستمرة تقوم على إكساب الخبرة للمتعلمين، وتعد عملية اجتماعيه تقوم على التفاعل في جو ديمقراطي، حيث يتعلم الطلاب بالتفاعل مع بعضهم البعض ومع مجتمعهم.

« وبالنسبة لمناهج الدراسة فإن **"جون ديوي"** ينتقد بشدة المفهوم التقليدي للمناهج والذي يقوم على تقسيم المنهج إلى مواد منفصلة، وعلى ترتيب المواد ترتيبا منطقيا، وقد يتفق مع عقلية التلاميذ الصغار لأن استعدادات الطفل العقلية في سنه المبكرة وطبيعة تكوين العقل، لا تتفق مع هذا الترتيب ولا ذلك التقسيم ومن القضايا التي يرى **جون ديوي** الأخذ بها في التعلم هو مراعاة الفروق الفردية بين التلاميذ، ومن حيث استعداداتهم وإمكاناتهم وقدراتهم الطبيعية[1]» .

نفهم من خلال هذا أن **جون ديوي** انتقد في فلسفته التربوية المفهوم التقليدي للمناهج التي تقوم على تقسيم المواد إلى مواد منفصلة، ووضعها في ترتيب منطقي يتفق مع عقليه التلاميذ الصغار ويلائم قدراتهم واهتماماتهم، ومن القضايا التي يؤكد **ديوي** عليها في التعليم هي مراعاة الفروق الفردية بين التلاميذ، حيث يجب أن يتم اعتماد مناهج تعليمية تأخذ بعين الاعتبار استعدادات التلاميذ وقدراتهم الطبيعية، وبناء على ذلك يتم تصميم المناهج التعليمية بشكل يتناسب مع احتياجات التلاميذ وتطوير مهاراتهم وقدراتهم، وهذا يساعد في تحقيق أفضل نتائج التعلم وتنميه مهارات الطلاب بشكل فعال.

«وقد حاول **"ديوي"** أن يقيم برامج هذه المدرسة وأدارتها على مبادئ الفلسفة البرجماتية التي من بينها وجوب الاتصال والتعاون بين المدرسة والبيت ووجوب اتصال خبرات التلاميذ في المدرسة وأدارتها على مبادئ الفلسفة البرجماتية التي من بينها وجوب جعل الأطفال يتعلمون عن طريق خبرتهم ونشاطهم الذاتي ووجوب احترام ميول التلاميذ وحاجاتهم وحريتهم في التعبير عن أنفسهم ووجوب مراعاة الفروق الفردية بين التلاميذ والتركيز على التعاون بدلا من التنافس» [2].

نستنتج من هذا أن المبادئ الأساسية التي اعتمدها **جون ديوي** في تصميم برامج وإدارة المدارس هو انه يشدد على أهميه التواصل والتعاون بين المدرسة والبيت حيث يعتبر ذلك أساسا لنجاح التعلم أيضا يرى انه يجب على المدرسة وأدارتها أن تستند إلى مبادئ الفلسفة البرجماتية والتي تتضمن جعلنا الأطفال يتعلمون عن طريق خبراتهم ونشاطهم الذاتي واحترام ميولهم وحاجاتهم وحريتهم في التعبير عن أنفسهم **وديوي** يسدد أيضا على ضرورة مراعاة الفروق الفردية بين التلاميذ وعدم معاملتهم كمجموعة واحدة حيث يجب التعامل مع كل تلميذ على حذاء

[1] - محمد التومي الشيباني، المرجع السابق ،ص354

[1]-محمد التومي الشيباني، المرجع السابق، ص355

[2]-عبد الغني محمد إسماعيل العمراني، المرجع السابق ، ص233

وفقا لاحتياجاته وقدراته وأخيرا يركز **ديوي** على أهمية التعاون بدلا من التنافس حيث يرى أن التعاون يحقق النجاح الحقيقي في التعليم ويساعد التلاميذ على تحقيق أهدافهم بصوره أفضل.

« وقد كان لهذه المدرسة أثر بالغ في التمهيد للتربية التقدمية التي سادت أمريكا في النصف الأول من القرن العشرين كما أن لها الفضل كبير في أقناع الإباء بأهمية المبادئ التربوية التقدمية وإمكانية تطبيقها وقد شجع **ديوي** بمدرسته هذه أنشاء العديد من المدارس التقدمية الخاصة في أمكنة متعددة في الولايات المتحدة الأمريكية[1]».

إذن المدرسة البرجماتية لها تأثير بالغ على التربية التقدمية في أمريكا في النصف الأول من القرن 20 واعتمدت المدرسة البراغماتية في صميم برامج التعليم وإدارة المدارس على عده مبادئ فلسفيه مثل التواصل والتعاون بين المدرسة والبيت وتحفيز الأطفال على التعلم من خلال خبراتهم ذاتيه والنشاط الذاتي واحترام ميولهم محاجاتهم وحرية في التعبير عن أنفسهم وقد ساعدت هذه المدرسة في إقناع الإباء بأهمية المبادئ التربوية التقدمية وإمكانية تطبيقها وشجعت على إنشائي العديد من المدارس التقدمية الخاصة في مختلفي مناطق الولايات المتحدة الأمريكية.

وفي نهاية هذا الفصل يمكن القول انه ومنذ بداية الحضارة الإنسانية كانت التربية تحظى بأهمية كبيرة حيث كانت ومازالت تعد من أساسيات بناء الإنسان لشخصية مستقلة ومسؤولة وتمتد أهميتها حتى بناء المجتمعات وتقدمها وقد تطورت عبر التاريخ والعصور واختلفت المدارس الفلسفية في وجهات نظرها حول التربية وغاياتها وأساليبها ومحتوياتها التربوية المناسبة للأجيال المختلفة.

[1]-عبد الغني محمد إسماعيل العمراني ، المرجع السابق، ص334

الفصل الثاني
مبادئ التربية الديوية

تمهيد:

التربية ظاهرة طبيعية تتم في الجنس البشري بطريقة تلقائية منذ الولادة، بحكم وجود الفرد في المجتمع، وهي عملية مستمرة ومتطورة كما أنها ليست مجرد إعداد للحياة مستقبلية، بل هي الحياة ذاتها وعملية من عملياتها.

تم وكان جون **ديوي** كأحد أهم فلاسفة القرن العشرين الأكثر تأثيرا في مجال التربية هو مؤسسي فلسفة التعليم الحديثة، يتقدم على نظريته مفاهيم جديدة في فهم العملية التربوية وكيفية تطويره وترتكز فلسفة التربية **لديوي** على المفهوم الأساسي للتجربة والتعلم المستمر والتي لها تأثير كبير على المناهج والأساليب التربوية في الوقت الحاضر، وبهذه الطريقة فإن فلسفة التربية عنده تتمثل في تهويل التعليم من كونه مجرد عملية نقل المعلومات إلى كونه عملية تفاعلية وبناء على الخبرة والتجربة، تتطلب توفير بيئات تعليمية محفزة و منصة للتفاعل بين المتعلم ي والمعلم وهذا ما سنعرج وعليه في فصلنا هذا ونحاول الإجابة على المشكلات التالية:

- فكيف نظر ديوي لفلسفة التربية؟
- وأي توجه فكري أستند عليه في وضع فلسفته التربوية؟
- وإلى أي مدى ربط بين التعليم والحياة العملية المجتمعية ؟
- وما هي المبادئ التي ارتكز عليها في وضع فلسفته التربوية؟

تمهيد
المبحث الأول: التوجه الفكري عند ديوي
المطلب الأول: النظرية الداروينية
المطلب الثاني: النظرية السيكولوجية
المبحث الثاني: مباحث ديوي التربوية
المطلب الأول: الكـون
المطلب الثاني: الإنســان
المطلب الثالث: المعـرفة
المبحث الثالث: مبادئ ديوي في التربية
المطلب الأول: الخبــرة

المطلب الثاني : الحريــة

المبحث الأول: التوجه الفكري عند ديوي:

المطلب الأول: النظرية الداروينية:

لقد اهتم العديد من الفلاسفة بإشكالية التربية نظرا لما لها من أهمية كبيرة في حياة الأفراد، ولعل جون ديوي كان من بين الفلاسفة الرائدين في هذا المجال.

«ويعرف ديوي التربية مستهلا في كتابه" **الديمقراطية والتربية** " على أنها ضرورة من ضرورات الحياة وهنا يربط بين التربية والبيولوجيا (علم الحياة) وبالتالي فهي عملية بيولوجية بوصف الإنسان ككائن حي» [1].

نفهم من هذا أن **ديوي** يعتبر التربية ضرورية للإنسانية وهي الأساس في الحياة البشرية بشكل عام، كما أنه يربط بين التربية والبيولوجيا، فهو يشير إلى أن الإنسان كائن حي يمر بعمليات بيولوجية وأن التربية تؤثر على هذه العمليات بشكل كبير، فالتربية تؤثر على الأحياء وتعزز سلوكهم ونموهم وتطورهم والتكيف مع بيئتهم ومنه فالتربية عملية بيولوجية.

«وهذه النظرة **لديوي** انتشلها من **"الداروينية"** التي استحوذت على الفرد والمجتمع في القرن التاسع عشر أي على علم النفس وعلم الاجتماع والكائن الحي من طبيعته النمو والتجدد عن طريق تفاعله مع البيئة الخارجية، فالإنسان كغيره من الكائنات فبالإضافة إلى استمراه الحيوي يتميز باستمراره الاجتماعي فتتجدد معتقداته وآماله، سعادته وآلامه ومنه فمعنى الحياة هي التجدد الدائم والمستمر[2]» .

تقوم هذه الفكرة كما يتضح لنا أن الإنسان هو كائن حي يتفاعل مع بيئته الخارجية وينطلق تفكير **ديوي** من أن التعليم والتربية هما المحرك الرئيسي للتطور الإنساني وأنه يحتاج لهما ليصبح

[1]- احمد فؤاد الأهواني، جون ديوي، نوابغ الفكر الغربي ، دار المعارف ، كورنيش النيل، القاهرة، ط3 ،1968 ، ص 35.
[2]- المرجع نفسه، ص 43 .

إنسانا ذو شخصية كاملة متكاملة بالإضافة أن الإنسان كائن اجتماعي يتفاعل مع الآخرين والبيئة، هذا التفاعل يرمي لتطور الإنسان وهذا التفاعل يتم بالتربية والتعليم فتتكون شخصية الإنسان الصالح في المجتمع.

«إن ما يميز **ديوي** هو قبوله لنظرية التطور قبولا تاما، لا غموض فيه ولا تستر، العقل والجسم في رأيه عضوان تطور في التنازع على البقاء إلى تشكلهما الحالي من أشكال أحط مرتبة، لقد كانت بدايته لكل موضوع بداية تطورية **داروينية**[1]» .

يتضح لنا أن **ديوي** يؤمن بأن الإنسان يتنافس مع ما يواجه من أجل البقاء على قيد الحياة وذلك من خلال، تدخل تطور العقل والجسم معا أي أن الإنسان يعتمد على العمليات العقلية والمقومات الجسدية للنجاة وحفظ البقاء، وأن العقل والجسد يتطور كلما ينمو الإنسان، فيتدخلان في مواجهة الصعوبات التي تواجهه مع بيئته الخارجية.

« ومن هنا فنظرية التطور عند **ديوي** كما يقول تعني أن الكائن الحي جزء من العالم يشاركه السراء والضراء، ويجعله بمأمن عن مخاطر هو هذا لن يتأتى إلا بتوحيد الإنسان وتفاعله مع الأشياء والبيئة* المحيطة به[2]» .

نفهم من هذا أن **ديوي** ويركز على التفاعل المهم بين الإنسان وبيئته وهذا التفاعل يؤدي إلى تكيف الإنسان على نحو يسير والانتفاع بهذه البيئة، ومنهم فالتطور الحقيقي **لديوي** أن الإنسان يتحد مع بيئته ومحيطه بطريقة تجعله بمأمن من المخاطر والأضرار ومنه يتطلب التطور وتوفير بيئة آمنة للإنسان والعمل على تحسين العلاقات بين الإنسان والكائنات الحية والغير حية في العالم.

«هذا المنطق الذي عبر عن نفسه تعبيرا علميا في كتاب **"داروين"** عن **" أصل الأنواع"** وعندما قال **داروين** عن الأنواع... فقد حرر بقوله هذه الأفكار التكوينية والخلقية تحريرا نهائيا وخرج بها عن كونها أسئلة تبحث عن أجوبة لها..لذالك ينبغي تغيير الأشياء... على أساس مكانها وعملها في البيئة[3] » .

نفهم أن بنظرية التطور لداروين حررت الأفكار من كونها أسئلة لا يمكن الإجابة عليها إلى أجوبة وأصبح أنه من الممكن إدراك ما يحدث في الطبيعة بناءا على دراسة الأنواع وتطورها كما يشير إلى أن هناك تفاعل بين الكائنات الحية والغير حية يفضي إلى تفاعل مهم لبقاء النظام الإيكولوجي* في حالة توازن واستقرار.

---

[1]– ويل ديوارنت ، قصة الفلسفة من أفلاطون إلى جون ديوي، تر، فتح الله المشفع، بيروت، مكتبة المعارف، د ط، 1988 م، ص 625

*لا يقصد ديوي هنا بالبيئة البيئية المادية فقط بل البيئة الثقافية بكل مقوماتها ... وما تنطوي عليه من مقومات اجتماعية الأخلاق والفنون ،(أنظر: جون ديوي،المنطق نظرية البحث، تر: زكي نجيب محفوظ، الناشر مؤسسة هنداوي، دط،2022، ص 114-115).

[2]- زهية مناصري، الأخلاق عند جون ديوي، مذكرة ماجستير، تخصص فلسفة، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، الجزائر، 2006-2007، ص51

[3]- ويل ديورانت ، المرجع السابق، ص626

***النظام الإيكولوجي**، هو مجموعة الكائنات الحية (النباتات والحيوانات والميكروبات) والعوالم الغير حية (الماء، التربة، الهواء، المناخ) والعلاقات البيئية بينها في بيئة محددة ويتميز النظام الإيكولوجي بأن جميع عناصره تتفاعل مع بعضها وتؤثر فيما بينها ، وتلعب العوامل البيئية المختلفة (الحرارة ،الرطوبة،الضوء،التربة)دورا حاسما في تشكيل النظام الإيكولوجي.

«وقال عن داروين أنه أحدث ثورة في التفكير فقد كان الفكر قبله يبحث في الحقائق الثابتة التي تعد مطلقة، في حسب رأيه أنه ادحض طريقة جديدة في التفكير في منطق المعرفة[1] »

نفهم من هذا المقصود أن **داروين** أحدث تغييرا جذريا في التفكير، حيث إنه أعاد صياغة فهمنا للعالم، وأدخل مفهوم التغير والتطور في العملية الطبيعية بشكل مستمر وبالتالي نفى داروين الحقائق الثابتة والمطلقة للتفكير القديم، وهذه الفكرة أثرت على كافة المجالات العلمية الفلسفية،...الخ.

«فلقد كان تأثير الداروينية من أهم الأفكار التي شكلت البراغماتية الديوية كفلسفة التغيير فلقد قدم **داروين** في كتابه**"أصل الأنواع"** دليل بتجربتين على أن الأشكال المختلفة للحياة كانت نتاج عصور طويلة من التغيير المستمر، وهذا يتضمن استمرارية التغيير لكل الأشكال المؤثرة للحياة، وقد طبق ذلك على الإنسان نفسه في كتاب **"نشأة الإنسان"** وذلك ليظهر أن الإنسان أيضا نتاج التطور[2] » .

أظهر **داروين** أن الإنسان قد تعرض للتطور والتغير وذلك عبر مراحل وتغيرت صفاته وخصائصه عبر الزمن.

«تأثير الداروينية بيان أثر البيئة في تشكيل المتعلم وأن كل طفل بمراحل تطور دفعت الكثير من علماء النفس للاهتمام بدراسة مراحل نمو الطفل وتطوره وكذا الاهتمام بدراسته أثر البيئة في تشكيل السلوك الإنساني[1]» .

نفهم من هذه النقطة أن ديوي يركز على البيئة المحيطة بالطفل خاصة الأسرة والمدرسة والتي تؤثر في تطور وتنمية شخصيته سلوكه لذلك يعتبر دراسة النمو النفسي والاجتماعي للطفل وأثر البيئة في تشكيله موضوعا هاما لعلماء النفس والتربية، وهنا كيف تجسدت تأثير الداروينية.

«كما يؤكد ديوي على وجود استمرار التفاعل بين الإنسان والبيئة لأن انعدام التفاعل يؤدي إلى فشله، ذلك أن نشاط الفرد مرتبط بحكم معيشته في المجتمع في نجاحه في تحقيق نزاعاته وأغراضه لا يتوقف على نشاطه وحده بل يتوقف أيضا على نشاط الآخرين من حوله يقول في هذا "إذا ازدادت الفجوة بين الإنسان وبيئته كثيرا فإن ذلك يؤدي حتما إلى فناء الإنسان"[2]» .

فمستقبل الإنسان ومصيره حسب ديوي في هذه النقطة مرتبط بالتبادل القائم الذي يتم بين الفرد وبيئته لذا يدعونا ديوي إلى عدم إغفال هذا التبادل.

نخلص إلى أن نزعة ديوي تتفق مع التأثير المتنامي لنظرية التطور وان الواقع نفسه يمر بعملية انتقال وتحول مستمر، بنحو أصيل وبالتالي فهو يربط بالفلسفات الروحية وفي تركيزه على الحياة.

كما أن نظرية داروين ساهمت في بروز العديد من النظريات وكانت لها الدور في تحول الفكر العلمي والفلسفي.

---

[1]- يحي طالح العسكري الغزالي وجون ديوي، نظرتهما للطبيعة الإنسانية إصدارات لجنة البحث والدراسة في التراث النفسي العدد 2 ، ص114.

[2]- شبل بدران، احمد فاروق محفوظ، أسس التربية ، دار المعرفة الجامعية،دط ، سنة 2000 ، ص235

[1] - شبل بدران، احمد فاروق محفوظ ، المرجع السابق، ص 236.

[2] - جون ديوي، الديمقراطية والتربية، تر: منى عفراوي، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر،القاهرة، 1946، ص 13.

المطلب الثاني: النظرية السيكولوجية:

أ- الفرع الأول: المدرسة السلوكية:

« أما الجانب السيكولوجي فهو تأثر بمذهب **جون واطسن**(1878- 1958) في السلوكية فإن المخ عضوا ينسق المؤشرات الحسية لإحداث استجابة عضوية[1]»

نفهم أن فكرة ديوي أساسية في مجال علم النفس متأثرا **بجون واطسن** ويؤمن بما أنا التعلم يتم من خلال الخبرة الشخصية والتفاعل مع البيئة فإن المخ يلعب دورا حاسما في تحديد كيفية استجابة الفرد للبيئة المحيطة به.

«ويتلخص فحو هذه النظرية في أن" السلوك الإنساني عبارة عن مجموعة من العادات التي يتعلمها الفرد ويكتسبها أثناء مراحل نموه سواء كانت هذه التصرفات سيئة أو العكس فإنها ترجع إلى الظروف البيئية التي يخضع لها... فالأثر السيكولوجي على الأداتية هو طبيعة بيولوجية ويتصل بمذهب واطسن في السلوكية، فالمخ ينسق المؤثرات الحسية في سبيل إحداث استجابات ملائمة[2]»

يتضح لنا أن فكرة ديوي تركز على أن التعلم يتم بشكل فعال عن طريق الخبرة العملية والتفاعل مع البيئة المحيطة، ويؤمن ديوي بأن التعلم يتم عن طريق الفعل والتجربة، وأن الطريقة الأكثر فعالية لتحقيق التعلم هي من خلال الخبرة الشخصية وأن المخ يلعب دورا حاسما في تحديد كيفية استجابته لهذه البيئة وبالتالي فإن فكرة ديوي تعتبر أساسية في فهم تعلم الإنسان وتطوره على مدار الوقت، ويمكن تحقيق ذلك من خلال تحديد لمحفزات مناسبة وتقديم النتائج الإيجابية لتعزيز السلوك.

«دعت إلى دراسة السلوك الإنساني دراسة موضوعية تبعا لمكونات الإنسان الفيزيولوجية ورأت أن السلوك يظهر في شكل مثير واستجابة وترتد هذه النظرية إلى العالم الروسي" **بافلوف** " الذي توصل بتجربته لقياس كمية اللعاب التي يفرزها الكلب أثناء الطعام التي تميزه بين المنعكس الطبيعي والمنعكس الشرطي، فأعجب **واطسن** بهذه التجربة وأخذ يفسر على غرارها سلوك الإنسان» [1].

يتضح لنا أن النظرية السلوكية تدرس السلوك الإنساني بشكل موضوعي وتحاول فهمه وتفسيره وذلك بالرجوع للبناء الفيزيولوجي للإنسان، وتعتمد على المنعكس الشرطي، حيث يتم تعلم السلوك من خلال الاستجابة للمحفزات المحددة ويتم تعديله بعد النتائج التي تظهر بعد الاستجابة، واستخدم **بافلوف** هذه التجربة كنموذج لفهم سلوك الإنسان وتحليله بناء على المحفزات والاستجابات المختلفة التي يتعرض لها الإنسان.

---

[1]- شبل بدران ، احمد فاروق محفوظ ، المرجع السابق ، ص،91.

[2]- المرجع نفسه، ص،92.

[1]-جون ديوي ، الديمقراطية والتربية ، المصدر السابق، ص13.

«كما انطلق **ديوي** في تفسير أفعال الإنسان التي تتعدل تبعا للمؤثرات الموجودة في البيئة فمثلا الكلاب والخيل تبدل أعمالها بملازمتها للإنسان و تعتاد شتى العادات لاهتمامه بإعمالها ذلك أن الإنسان يتحكم في أفعالها بضبط المؤثرات التي تؤثر فيها، فكذلك الإنسان بالنسبة لسلوكاته داخل بيئته ووسطه... فجميع السلوكات البشرية تتأثر بالمؤثرات الخارجية وتصبح بمثابة منعكسات شرطية[2]» .

يتبين لنا أن **ديوي** يركز على أن الفرد يتعلم من خلال التفاعل مع البيئة المحيطة به، فالسلوك الإنساني وحتى الحيوان يتبدل ويتأثر بالمؤثرات والعادات الخارجية، فكل ما يوجد خارج عنا يؤثر فينا بشكل مباشر أو غير مباشر، وبالتالي فكل سلوك يقابله مؤثر خارجي، لذا دعا جون ديوي إلى تنظيم وتشكيل بيئة ملائمة للمتعلم، وضبط المؤثرات الخارجية لتعديل سلوكه وتغييره والتركيز على النتائج وبالتالي يمكن استخدام هذه النظرية في تحديد الطرق الأكثر فعالية لتعليم الأطفال وتشجيعهم على اكتساب سلوكيات إيجابية.

ب- الفرع الثاني: المدرسة النفسية

إنه لمن الملاحظ أنه لا يمكن أن يكون ثمة تعبير دون استشارة أو هيج ودون اضطراب أو قلق، ومع ذلك فإنه إذ لأي اضطراب داخلي أن ينطق أو يتحرر في الحال متخذا صورة ضحكة أو انتحابه فإنه سرعان ما يزول بمجرد هدوئه[1]»

نفهم من خلال هذه النقطة أن العوامل الداخلية تؤثر في سلوك الفرد، فالإنسان لا يستطيع التعبير عن اعتقاده أو زعمه دون أن يثير شعورا من الإثارة أو الاندفاع الداخلي وذلك الشعور لا يكاد يخلو من الاضطراب والقلق، فالتعبير الخارجي هو اضطراب داخلي،فالعاطفية السلبية التي تتلازم مع هذا الاضطراب سرعان ما تتلاشى.

«وإذا كان تفريغ الطاقة إنما يعني التخلص منها أو طردها إلى الخارج فإن التعبير إنما يعني البقاء إلى جوارها والاهتمام بتطويرها ودفعها للأمام والعمل على إنجازها وتوصيلها لمرحلة الإكمال، فقد نجد انهمار الدمع يحقق لصاحبه الراحة النفسية أو قد يتسبب بالانفجار العصبي أو التشنج الحاد في فتح منفذ أمام الغضب المكبوت»[2]

كما نفهم أن ديوي يشير إلى أن هذا النوع من التعبير قد يتجلى في الضحك المفاجئ أو البكاء المفاجئ وغيرها من التعبيرات اللاإرادية التي يقوم بها الإنسان عند الشعور بالاضطراب الداخلي وهنا ينجح الشخص في التخلص من هذا الشعور السلبي وطرده للخارج والتعبير عنه فيحقق توازن وراحة نفسية.

---

[2]-المرجع نفسه ، ص،14

[1]- جون ديوي، الفن خبرة، تر: زكرياء إبراهيم ، مراجعة زكي نجيب محمود، الهيئة المصرية العامة للكتاب، سلسلة ميراث الترجمة ، العدد1822، الجزيرة ، القاهرة ،2011، ص135

[2]- المصدر نفسه ، ص 135.

«ولما كان الانفعال ضروريا لفعل التعبير الذي يولد العمل الفني... إن المرء قد يذرف الدمع فرحا أو هو قد يبكي بالفعل عند(التقائه بصديق) غاب عنه أمدا طويلا... فمن شأن هذا الانفعال أن يحفز المرء إلى العمل على تجميع المواد ذات الصلة بالحالة الانفعالية أو المزاجية المستثارة... وهنا يظهر العمل الفني[3]» .

هذه الفكرة تشير على حد فهمنا إلى أن الانفعال الداخلي أو العاطفة والإثارة أو القلق... يحفز المرء على التعبير عن نفسي في شكل عمل مبدع، فإعادة تجميع هذه المشاعر وتشكيلها تنتج عملا فنيا يعكس ويعبر عما داخله ، وهو الحال بالنسبة للمتعلم فقد يكون الانفعال الداخلي كحافز لإظهار المواهب وتنمية القدرات وإنتاج عمل نفعي.

«وإن دور الانفعال في نشأة الفعل التعبيري وتطوره له دور كالمغناطيس الذي يجذب إليه سائر المواد اللائمة، ولا تكون المواد ملامة إلا حين تكون هناك قرابة انفعالية مختبرة في صميم التجربة، يجمع بين الحالة النفسية السائدة من قبل واختيار للمواد وتنظيمهم في آن واحد دالة ومعيار للحكم على كيفية أو نوع الانفعال الظاهر في التجربة[1]»

يتضح لنا إن الفعل التعبير يتأثر ويتوجه بشكل كبير نحو الانفعال المشعور من قبل الشخص الذي يقوم بإبداء الفعل التعبيري، كما يجب أن يكون هناك تجربة شعورية أو إن فعالية متأصلة داخل الشخص الذي يقوم بالفعل التعبيري ويحركها لتجميع وتنظيم المواد التي تستخدم في هذا الفعل التعبيري.

«وقد نشعر حين نشاهد دراما أو نرى لوحة أو نقرأ رواية أن الأجزاء ليست متماسكة، في هذه الحالة يكون صاحب العمل قد افتقد تماما كل خبرة ذات صلة انفعالية متلائمة، إما أن يكون قد اتخذ. بدايته من انفعال حي مشعور به، ولكن لم يستطع مكابدته، فكان من ذلك أن حلت محله سلسلة من الانفعالات الغير مترابطة جاءت فأملت عليه عمله وفي هذه الحالة لا بد من أن يكون الانتباه قد تذبذب[2]» .

يتضح لنا من هذا أن ديوي يركز على توفير بيئة متعددة الجوانب تكون أجزاءها مترابطة فإنها تحقق الترابط الانفعالي والمتانة في الانتباه، فعندما يشعر الفرد بالارتباط بموضوع معين، فإنه يصبح أكثر اهتماما وانخراطا في العملية التعليمية، عكس الفرد الذي تحكمه انفعالات غير متلاحمة فيكون خبرة مذبذبة مهددة بالزوال.

« إلى أن تمت اعتبارين أساسيين سوف نضعهما دائما نصب عيوننا أما الاعتبار الأول فهو الترابط الوثيق أو العلاقة الدفينة التي تجمع بين الذات والعالم من خلال تبادل الانفعال والفعل... أما الاعتبار ثاني فهو أن كل الفروق والميزات التي يستطيع التحليل أن يدخلها على العامل السيكولوجي إن هي إلا مظاهر وجوانب مختلفة لتفاعل مستمر... ونشرع إلى الطريقة التي نشأت على نحوها تاريخيا بعض التفرقات السيكولوجية الحادة وهنا سنجدها... مجرد صياغات لفروق

---

[3]- المصدر نفسه ، ص 148.

[1]-جون ديوي ، الفن خبرة، مصدر سابق ، ص 148.

[2]-المصدر نفسه ، ص149.

وجدت بين طوائف المجتمع وطبقاته وإن **أفلاطون** ليقدم لنا مثالا يكاد كاملا لهذه الحقيقة، فإنه استمد تقسيمه الثلاثي للنفس مما لاحظه في الحياة الاجتماعية التي كانت سائدة في عصره[1]» .

نفهم من هذا أن ديوي يركز على الذات والموضوع من أجل الوصول لعمل على أرض الواقع وهو ما انعكس على رؤيته للتعليم حيث رأى أنه يجب أن تكون عملية تفاعلية بين الفرد والمحيط الاجتماعي حتى يتمكن الفرد من تحقيق علاقات صحيحة والتعامل الفعال للإنسان مع بيئته.

وفي الأخير نخلص إلى أن ديوي تأثر بمدارس علم النفس التي تركز على دراسة العوامل الداخلية التي تؤثر على سلوك الفرد مثل العقل والعواطف والجملة النفسية، بينما المدرسة السلوكية تركز على دراسة العوامل الخارجية التي تؤثر على سلوك الفرد مثل البيئة والتحفيز والتعلم.

المبحث الثاني: مباحث ديوي التربوية:

المطلب الأول :الكون

« من أبرز أفكار ديوي المتصلة بطبيعة الكون هو إيمانه بأن العالم ليس ثابتا وجامد ولا نظاما مقفولا، ولكنه عملية ديناميكية من التغيير والتطور المستمر، والميزة الأساسية للحياة هو التغير، والحياة في مثل هذا العالم المتطور المتغير باستمرار لا تعدو عنده أن تكون عملية مستمرة من التكيف التجريبي للظروف المتغيرة المتجددة[2]» .

نفهم من هذا أن العالم حسب ديوي بوجه عام يصعب فحصه مرة واحدة، ذلك أن الإنسان تواجهه تحديات و أحداث تقوم على التصارع بين القوى وتعارض التيارات فيه، فهو يقوم على التنوع وليس التوحيد، والمستقبل فيه مفتوح وليس مغلق، لهذا فالعالم ويقبل التعددية في المعتقد والأجناس واللغات... إلخ، والغاية فيه تتحدد بتفاعل واندماج الإنسان والبيئة والآخرين.

يعتقد أن كل الأشياء في الكون متصلة ببعضها البعض ويشكلون كلهم وحدة واحدة، ويعتقد بأن الشيء الواحد لا يمكن فصله، إلى عدة أجزاء متنازعة.

«فالعالم في نهايته منظور محسوس، لذلك فهو إدراك حسي وليس حالة مجددة، فهو ليس بجواب ميتافيزيقي كما هو الحال عند المثالية[3] » .

يتبين من خلال هذه الفكرة أن جون ديوي رفض كل لفكرة ميتافيزيقية ما ورائية ومن منطلق آخر رفض الأفكار العقلية التي تجعل للمادة الفكرية حقائق أو معايير أولى سبيل إلى تفسيرها

[1]- جون ديوي، الفن خبرة ، المصدر السابق ، ص456.
[2] - عمر محمد التومي الشيباني ، المرجع السابق ،ص39.
[3] - محمد محمود الخوالدة، فلسفات التربية التقليدية والحديثة المعاصرة، دار المسيرة للنشر والتوزيع والطباعة، دس،ص107.

وتحكم بنفسها على صدق نفسها، فهو يرى أن العالم في كليته واقع يشمل الطبيعة والإنسان في تفاعل المستمر.

« وقد رفض ديوي الميتافيزيقا واعتبرها صدى لعلم اللاهوت المختفي وراءها... ويعتقد أن مشكلة الفلسفة دائما اختلاط أبحاثها بالأبحاث الدينية[1] » .

يتضح من هذا أن ديوي يرفض أيضا فهم الحياة والعقل بالطريقة اللاهوتية الدينية وهنا يشير للعصور الوسطى التي تفسر جل قضايا الحياة تفسيرا دينيا.

« ويؤكد ديوي أنه: إذا كان النظام البطلمي (**بطليموس**) يقوم على أن الأرض ثابتة وهي المركز والشمس تدور حولها، والنظام **الكوبرنيكي** يجعل الشمس مركزا لجميع الكواكب وإنما هما وما معهما من كواكب جميعها أجزاء من عالم واحد، كله يتحرك باستمرار في تفاعل وترابط بين سائر أجزائه[2]» .

المطلب الثاني :الإنســان

« أما أفكاره المتصلة بالإنسان فإنها تتفق مع المبادئ الديمقراطية ومع المبادئ التي تقررها نظرية التطور والأبحاث الطبيعية والبيولوجية والنفسية، فهو يحترم الإنسان إلى أبعد حد ويعتبره غاية في حد ذاته، ويحترم حريته واختلافه على غيره[3]» .

نفهم من هذا إن ديوي يؤمن بأهمية تنمية شخصية الأفراد بشكل مستقل، مما يساعد على تكوين مجتمع ديمقراطي، كما يتفق مع مبادئ نظرية التطور في أن الاستجابة للبيئة والتكيف معها يؤدي إلى تطور الشخصية، كما يعتبر العوامل الوراثية والبيئية والتجربة الشخصية تؤثر على تطور الشخصية و تشكلها.

« وهو لا ينظر إلى الفرد على أنه عنصر منفصل عن المجتمع الذي يعيش فيه بل ينظر إليه على أنه عضو في جماعة و جزء لا يتجزأ من المجتمع[4]» .

نفهم من هذا المقصود أن الإنسان ليس منفصلا عن الطبيعة بل هو جزء لا يتجزأ منها، تحكمه علاقات متبادلة بين الطبيعة والمجتمع.

وهنا نجده متأثر بالنظرية الاجتماعية، فالفرد ليس كيان منفصل يعيش حياته بمفرده وإنما هو جزء من مجموعة أو جماعة من الناس يتفاعلون مع بعضهم البعض ويؤثرون على بعضهم البعض وحسب ديوي وبما أن الفرد يتأثر بالمجتمع ويؤثر فيه، فإن من المهم أن يسعى المجتمع لتوفير بيئة إيجابية وصحية لتمكين الفرد من الاندماج والمشاركة والتأثير بشكل إيجابي، وهذا التأثير المتبادل يمكننا من تطوير أنماط تفكير وسلوك أكثر صحة وإيجابية اتجاه المجتمع والأشخاص الذين يعيشون فيه.

« وهو كعادته في جميع نظرياته الفلسفية يؤمن بمبدأ الواحدية Monisme ويرفض مبدأ الثنائية (Dualisme) ومبدأ الكثرة (pluralisme) وتطبيقا لمبدأ الوحدة بالنسبة لطبيعة الإنسان فإنه

---

[1] - ويل ديورانت، المرجع السابق، ص627

[2] - جون ديوي ،البحث عن اليقين، تر: أحمد فؤاد الأهواني، المركز القومي للترجمة، الجزيرة ، القاهرة ، 1958، ص277

[3] - عمر محمد التومي الشيباني ، تطور النظريات والأفكار التربوية،المرجع السابق،ص340 .

[4] - المرجع نفسه ، ص340

لم يعترف بالفصل التقليدي بين الجسم والعقل والروح وينظر إلى طبيعة الإنسان على أنها وحدة متكاملة لا فصل بين جوانبها الجسمية والعقلية والروحية[1]» .

نفهم من هذا أن الطبيعة الإنسانية عند ديوي لا تعدو أن تكون صفتين لشيء واحد أو الحدث واحد، والإنسان جسمي وعقلي في آن واحد وبالتالي فهو يعتبر الإنسان ككيان واحد يجب دراسته وفهمه في سياقه الكامل وليس فصل كل جزء عن الآخر، وتطبيقا لمبدأ الوحدة فهو يرى أن الإنسان عقل وجسم فهما جزءان من الوحدة الإنسانية.

« ويؤكد ديوي على أن المؤسسات التربوية هي التي يجب أن تتولى القيادة لتطور القوة الإبداعية عند الإنسان في إطار الأهداف والمعرفة وتطبيقات العلمية والقيم الإنسانية فيه[2] » .

يتضح لنا أننا ديوي يعتبر التعليم هو الوسيلة الأساسية لتطوير القدرات والمواهب الإبداعية لدى الإنسان، وأن المؤسسات التربوية هي التي تتولى مسؤولية تطوير ما يمتلكه الطلاب من مواهب ومهارات وقدرات من أجل الوصول لتحقيق أهداف تعليمية ومعرفية والقيم الإنسانية المرتبطة بالمجتمع والبيئة الثقافية، كما نفهم أن ديوي يؤكد على أهمية توظيف أساليب تعليمية مبتكرة ومتطورة تتلاءم مع الاحتياجات الحالية وتساعد الطلاب على التعلم بشكل فعال، وتحفزهم على الاستكشاف والابتكار والتفكير بما يؤهلهم لمواجهة تحديات المستقبل.

« وهو كما يؤمن بوحدة الطبيعة الإنسانية فإنه يؤمن أيضا بالاتصال الكامل والتوقف أو الاعتماد المتبادل بين الفرد والمجتمع وبين الإنسان والطبيعة، فهو لا يرى أن هناك فاصلا بين العلوم الإنسانية والعلوم الطبيعية[1] ».

يعتقد ديوي حسب ما فهمناه بأن الطبيعة الإنسانية واحدة وأن هناك إتصال وتواصل بين الفرد المجتمع والطبيعة وهي مهمة في تشكيل شخصية الإنسان وتطور الشخصي والاجتماعي، عندما يتواصل الإنسان مع المجتمع والطبيعة بشكل كامل ومتبادل، يتعلم الكثير ويتطور وينمو في مختلف المجالات ويكتسب خبرات والمهارات اللازمة ليصبح عضو فاعلا في المجتمع والعالم ويصبح قادرا على الاستفادة من الطبيعة بشكل مستدام.

« ومن الأمثلة التي يضربها على التوقف المتبادل بين الطبيعة و الإنسانية هو العلاقة بين علم التاريخ وعلم الجغرافيا، باعتبار الأول يمثل فرع من العلوم الإنسانية وباعتبار الثاني يمثل فرع أساسيا من العلوم الطبيعية، فالأحداث التاريخية والاجتماعية التي تمثل الجانب الإنساني[2]»

يتضح لنا أن ديوي يشير في هذا السياق إلى أن العلوم الإنسانية مثل: علم التاريخ والثقافة والعلوم الطبيعية مثل علم الجغرافيا يتعامل كل منهما مع جوانب مختلفة من الواقع الاجتماعي والطبيعي، ومع ذلك يؤدي تفاعل هذه العلوم مع بعضها البعض إلى توقف متبادل يعيق تطورها وعلى سبيل المثال: يمكن التفكير في كيفية تأثير العوامل الجغرافية على الأحداث التاريخية وكذلك

[1]- عمر محمد التومي الشيباني، المرجع السابق، ص340.
[2]– محمد محمود الخوالدة، ، المرجع السابق ،ص108
[1] - ويل ديوارنت ، المرجع السابق ، ص 340
[2] - المرجع نفسه ، ص 341

كيف تؤثر الأحداث التاريخية على البيئة الجغرافية، ولذلك فمن المهم أن يكون لدينا نظرة شاملة ومتكاملة للعلوم المختلفة للتعامل مع التحديات التي تواجهنا في العالم اليوم.

المطلب الثالث : المعرفة

« لا ينكر ديوي كل ما هو قبلي في المعرفة ، ويرى أن مشكلة المعرفة ما زالت مجرد معرفة نظرية دون فائدة حيوية علمية، فبدلا من البحث عن كيف نعرف يجدر بنا الانشغال بتحقيق قيم اجتماعية عملية تجعل العالم أفضل مما عليه، وتحويل المعرفة من معرفة تأملية إلى أنشطة فعالة وعملية في البحث وحل المشكلات ولا فائدة من معرفة لا يمكن تطبيقها في الحياة الراهنة[1]» .

نفهم من هذا أن ديوي تجاوز النظرة التقليدية التأملية التجريبية للمعرفة وأن المعرفة إن لم تتحقق نتيجة عملية نافعة، وأن تحل مشكلات الحياة الراهنة فلا معنى لها ، وأن المعرفة ليست قبلية وليست ثابت نهائية بالأداة للمراجعة والافتراض في عروض جديدة.

« فلو قلت لي مثلا: هذا قادوم - مشيرا إلى آلة معينة- فقولك هذا من الناحية المنطقية عند ديوي ليس بذي بال، ما لم نكن في موقف يكون فيه القادوم وسيلة تؤدي إلى نتيجة منشودة... المعرفة هي معرفة وسائل الحلول ولحلول لا تكون لمشكلات قائمة فعلا[2]» .

يتضح لنا من هذا أن ديوي يرى أن المعرفة لا تبقى حقيقة مطلقة، فالعارف يسعى لتحقيق نجاح ما، وأن العقل ليس سوى أداة عملية يستخدمها الناس في مختلف الأغراض والمجالات.

« كما ينظر ديوي إلى المعرفة بمعيار جديد يواكب التقدم العلمي الذي عرفته الإنسانية فرض الأفكار المتتالية وأكد على أهمية التجربة الديناميكية الحركية المتطورة، وخالف بهذا كل فلسفة تنادي بالثنائية وهي الفلسفات التي أقامت نظرياتها في المعرفة التمييز الواضح في بين الروح والمادة وبين الذات والموضوع[3]» .

يتبين لنا أن ديوي رفض التساؤل عن إمكانية المعرفة والوسائل المؤدية إليها، ليس هناك موضعا للحديث عن ذات عارفة وموضوع معروف، فهذا التقسيم من مخلفات الفلسفة الثنائية، فاكتساب المعرفة ليس كما رأى العقليون في العقل وحده دون الحواس ولا كما رأى الواقعيون في الحواس وحدها دون العقل.

« ويؤمن ديوي بأن المصدر الأساسي للمعرفة الإنسانية هو الخبرة والنشاط الذاتي للفرد فكل معرف يكتسبه الفرد إنما في نظره ناشئة عن نشاطه وكفاحه من أجل البقاء... ومن أجل التغلب على المشاكل التي تواجه في الحياة[1]» .

يتضح لنا من هذا أن ديوي ربط اكتساب المعرفة وتحصيلها يكون عن طريق تفاعل الإنسان وتعلمه للخبرات من المجتمع، وأن المعرفة الحقة هي التي تحل لنا مشاكل الحياة.

---

[1]-محمد محمود الخوالدة ، المرجع السابق، ص109.

[2]– زكي نجيب محفوظ، من زاوية فلسفية، دار الشروق، ط4، القاهرة ، 1993 ، ص223.

[3]- محمد جديدي، فلسفة الخبرة، جون ديوي أنموذجا،المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر،ط1، 2003، ص218.

[1]-عمر محمد التومي الشيباني ، المرجع السابق، ص342

« فنظريته هذه تتماشى والوظيفة التي حددها للفلسفة والتي تتغير بها للخبرة يجعل إمكانياتها أمورا قائمة في العقل، فالمعرفة عنده ليست شيئا معزولا قائما بذاته، وإنما هي ضمن الطريق الذي تتطور به الحياة[2]» .

نفهم أن ديوي يرفض أن ننظر إلى المعرفة نظرة المتفرج دون اعتبارها أداة للسيطرة على الطبيعة ومنه فوظيفة الفلسفة توجيه الفكر وإدماجه في قضايا الحياة.

« والتفكير المنطقي في نظري ديوي يسير في الخطوات التالية:

الخطوة الأولى: أن يحدث لدى الفرد شعور بصعوبة أو بمشكلة أو بحاجة ما.

الخطوة الثانية:أن يأخذ العقل في دراسة الموقف وتحليل عناصره حتى يسير إلى قلب المشكلة[3]» .

وهي خطوات التفكير المنطقي السليم عند ديوي، يبدأ بمشكلة يصعب حلها، تولد الشعور بالحيرة، تدفعه للبحث للوصول لحل وفهم والوصول للمعرفة وحل المشكلات، وهو ما نجده مطبق في مجال التربية والتعليم، أن يبدأ المعلم بوضعية مشكلة: يضع فيها المتعلم في موقف يدفعه للتفكير وهذا ما يوحي للخطوة الثانية أن يأخذ العقل في دراسة الموقف وتحليل عناصر الدرس للوصول لحل المشكلة وهي ما طبق في طريقة التعلم بالكفاءات.

« أما الخطوة الثالثة : فيستعرض الاقتراحات والفروض المختلفة لحلول ممكنة لهذه المشكلة، **أما الخطوة الرابعة :** أن يختبر كل فرد وكل حل مقترح للمشكلة، وأن يتأكد من وجهته أو عدمها ثم الحل الذي يرى فيه أنه أعظم الحلول احتمالا يقدم للتجربة.

أما الخطوة الخامسة: أنتقد الملاحظة الدقيقة والتجربة إلى قبول أو رفض الفرد أو الحل المقترح[1] .»

يتبين لنا من خلال الخطوتين التي قدمها ديوي أن الباحث قدم اقتراحات ثم حاول تقييم وبناء مجموعة من المعايير المحددة مسبقا، مثل فعالية الحل وتكلفته وتأثيره على المجتمع والبيئة، ويجب على الفرد أن يحترم رأي الآخرين ويتعاون معهم لتحقيق الهدف المشترك وفي هذه النقطة يتبادر في أذهاننا طريقة التعلم التعاوني، أو المشترك في الصف الدراسي، حيث يستفيد المتعلم من الخبرات والأفكار المختلفة للتقدم في حياته المهنية والشخصية وبهذه الطريقة يمكن للفرد أن يصبح خبيرا في حل المشكلات وتحسين جودة حياته وحياة المجتمع من حوله.

« وباعتبار الخبرة مصدر للمعرفة عند ديوي فهو يضيف التفكير والبحث كمصدرين آخرين له، أما مصدرها الأول (التفكير) فهي فيبدأ بشعور الفرد بوجود المشكلة، ثم يقترح فروضا لها ويقوم بجمع المعلومات التي تساعده على حلها وأخيرا يتوجه إلى اختيار الحل المناسب لها، وبهذا يكون التفكير جوهر لحل المشكلات[2]» .

ما يتضح لنا أن الخبرة لا تعني بالضرورة الحصول على الحل الصحيح في كل المواقف، بل هي عملية مستمرة من التعلم والتحسين، والتعديل والتطور، وبالتالي فإن الخبرة تتطلب الاستمرار

---

[2]-جون ديوي، البحث عن اليقين، المصدر السابق، ص14 .

[3]- عمر محمد التومي الشيباني، المرجع السابق، ص 344

[1]- عمر محمد التومي الشيباني، المرجع السابق، ص344.

[2]- فؤاد زكريا، إعلام الفكر الفلسفي المعاصر ، دار الجمل ، بيروت ، ط1، 1993 ، ص 120.

في التفكير والبحث والتعلم وتجربة الأفكار والحلول المختلفة لتطوير مهارات الفرد ومعرفته وفهمه للموضوعات المختلفة.

« أما مصدرها الثاني (البحث) فيبدءوا من التجربة التي تتخذ من المواقف والنتائج وسائل للحلول الممكنة ، ومنه فإن كلمة البحث تعني التحويل من موقف مشكل إلى موقفا يمثل حلاله[1]» .

نفهم من هذا أن البحث يتضمن البحث عن مصادر مختلفة للمعلومات سواءا كانت مصادر ذات صلة بالمشكلة نفسها مصادر تعزز فهم الفرد للموضوع بشكل عام ، ويجب أن يستمر الفرد في التفكير والبحث والتعلم ، وتجربة الأفكار والحلول المختلفة لتطوير مهاراته وزيادة معرفته وفهمه للموضوعات المختلفة ، ويجب أن يتعلم الفرد من خلال تجاربه وأخطائه ، وأن يكون مستعدا لتغيير طريقة تفكيره والبحث عن حلول جديدة ، وبالتالي فالبحث أحد المصادر الأساسية للحصول على المعرفة وتطوير الخبرة .

« وقد اهتم ديوي بمسألة التفكير واعتبرها من المسائل الفلسفية والنفسية التي لها صلة وثيقة بنظرية المعرفة، وقد عالج هذه المسألة في كتابه « كيف نفكر»« How we think » ففي هذا الكتاب قد حاول ديوي أن يحلل الشروط والظروف التي يقوم بالفعل تحتها بالتفكير، وهو يرى أن التفكير لا يتم في فراغ ولا في انعزال عن شؤون الحياة، ولكنه يتم في بيئة اجتماعية وثقافية مليئة بميراثها ودوافعها التي تحمل الفرد على التفكير ليتغلب على مشاكل الحياة التي تواجهه[2]» .

نفهم من هذا المقصود أن ديوي يربط التفكير بالحياة، في التفكير الذي لا يكون له صلة بالواقع والظروف المعيشية فلا معنى له، وجعل دور التفكير ومعناه من خلال حل المشاكل التي تواجه الإنسان.

« ويشير ديوي إلى أن مشكلة أن الفلسفة الحديثة أنها بعيدة كل البعد عن فهم الإنسان العادي، والسبيل لتجاوز ذلك وجعل كل منهما أي المعرفة والفلسفة فعاليتين يكون بتصور المعرفة على أنها عملية فعالة أشبه بالتجربة العلمية التي تقوم على الفرضية والاستدلالات، معرفة تعني الظفر بما هو موجود بالفعل... فهي بمثابة منشطات وحوافز للعمل[1]» .

يتبين من هذا أنه ينظر للمعرفة على أنها تحرك الفكر ليتصرف بطريقة المعقولة، وبالتالي فهي مفاتيح السلوك لا معارف حسية، كما يرى ضرورة تطبيق المناهج العلمية في الشؤون الإنسانية.

نستخلص أن المعرفة نابع من التجربة والخبرة وهي تراكمية وتوضع بمادة في فروض من أجل الاختبار، وهي أدائية أو وسيليه يمكن اكتسابها كلما تعمقنا في مناهج البحث، والمعرفة الإجرائية وعمل وحركة تعني مطالب الوحدة الخبرية لتنجز وحدة خبرية جديدة أخرى، ويمكن واكتسابها بالتفكير والتجريبي والحواس والاستقصاء، وأن الخبرة هي وسيلة المعرفة التي نحصل عليها نتيجة التفاعل الناشط مع معطيات البيئة في إطار زمان ومكان معين، ولا فائدة في المعرفة

---

[1]–فؤاد زكرياء ، المرجع السابق، ص 120.

[2]–عمر محمد التومي الشيباني، المرجع السابق ، ص344.

[1] - جون ديوي، تجديد في الفلسفة، تر أمين مرسي قنديل، زكي نجيب محمود ، مكتبة الأنجلو المصرية، دط، دم،1947، ص ص 216-217.

لا يمكن تطبيقها في الحياة الراهنة، والتجريب هو من وسائل الحصول على المعرفة والتحقق من صحتها على المستوى النظري والتطبيقي أو بالمعرفة الإنسانية أو المجتمعية.

المبحث الثالث: مبادئ ديوي في التربية.

« إذا تصورنا الإنسان كيف ينبغي أن يكون في ظروف العصر الجديد كانت الوسيلة لتكوينه على الصورة الجديدة هي التربية ومن ثم انصرف ديوي باهتمامه أول الأمر إلى التربية بمعنى النظر في أسسها وطرائقها، وما أظن أن معلما واحدا في شرق الدنيا أو في غربها لم تأثر بالمبادئ التربوية الجديدة التي أعلنها ديوي وأشاعها والتي قلبت وجهة النظر في هذا الميدان رأسا على عقب[1]» .

نفهم من هذا أن عدوي من أبرز الفلاسفة الذين اهتموا بفلسفة التربية وأنها الوسيلة لتكوين الإنسان يفهم وظروف عصره ومتطلباته وتلبية حاجاته.

«بحث ديوي في التربية فتوصل إلى أن التربية هي: فلسفة، علم وفن، وحاول تصنيف وجهة نظره في مقالات، كتب... فضلا عن إنشاء المدرسة العلمية ليجرب ويختبر صحة نظرياته[2]» .

يتبين لنا أن ديوي من أكبر رجال التربية والتعليم في العصر المعاصر ومدى عمق تجربته التربوية، والتي شملت الحياة الفكرية، والسياسية.

ويحصر ديوي فلسفته التربوية إلى مبدأين أساسيين في غاية الأهمية بل هو ما حجرا الرواية في تفكيره وهما: الخبرة والحرية.

المطلب الأول: الخبرة

« فلا عجب أن يسمي ديوي بفيلسوف الخبرة فقد تحدث عليها في أمور عديدة: في صلتها بالطبيعة والتربية والفن... وله شعار مشهور " **التربية خبرة** "، وعن طريق الخبرة وفي سبيل الخبرة ذلك أن التربية عملية ترقى في نطاق الخبرة وعن طريقها وفي سبيلها[3]» .

[1]-زكي نجيب محفوظ ،المرجع السابق، ص221.
[2]-احمد فؤاد الأهواني ، المرجع السابق، ص35.
[3]-المرجع نفسه ،ص50

يتضح لنا أن ديوي يؤمن بأن الخبرة هي المفتاح الأساسي لاكتشاف المهارات والقدرات الفردية، وشعاره هذا يشير إلى أن التربية والتعليم لا يجب أن ترتكز على ما هو نظري بل على ما هو تجريبي فعلي.

« والخبرة تقال عن الأمور الإنسانية لأنها ثمرة المعاناة في داخل الفرد، غير أن ديوي لا يفصل بين الخبرة والطبيعة بين الشخص والموضوعي، ثم ذهب ينحو نحو الوحدة دائما لا التعدد[1]» .

نفهم من هذا أن الخبرة هي معاناة الناتجة عن التجربة الفعلية إيه تعلم الفرد بنفسه فيصبح قادرا على الفهم بشكل أفضل.

« والخبرة تتضمن عنصرا إيجابيا و عنصرا سلبيا، من الناحية الإيجابية الخبرة محاولة سعي تجريب اجتهاد، ومن الناحية السلبية تحمل مكابدة، معاناة[2]» .

نفهم من هذا المقصود هو أننا عندما نمارس خبرة شيء فإننا نتصرف بمقتضاه ونفعل شيئا حياله ثم بعد ذلك أن نتحمل و نكابد أو نعاني نتائجه وما يترتب عليه من تباعات.

« و **لديوي** مثال مشهور توضيحا للخبرة: مثال الطفل الصغير حين يلمس النار بأسبوعه، فليس حرق النار لأصبع الطفل كافيا في حصول الخبرة، بل لابد أن يتألم ليدرك أن النار محرقة ، ثم يتعلم من ذلك أن يتجنب النار حتى لا تحرقه[3]» .

معنى ذلك أن الخبرة تقوم على فعل وانفعال، تأثير وتأثر، كما تجعل الشخص فهم ما وقع في خبرته، والاستفادة من ذلك الفهم في المستقبل، وبالتالي في الخبرة شيء حي تنمو بنمو الفرد وتعلمه من الحياة.

« هذا التحديد لمعنى الخبرة من أنها تأثير وتأثر، وإدراك العلاقات بين الأشياء يترتب عليه عدة نتائج في التربية:

- **أولا:** الأمور التي لا يحصل عليها تلميذ عن طريق الخبرة الشخصية إيه لا يتأثر فيها بنفسه ويدرك بنفسه العلاقات بين الأشياء، لن يكون لها ثمرة في مجدية وهذا هو عيب التعليم عن طريق التلقين[1]» .

يقصد من هذا وما نفهمه أنه ديوي يهتم بمبدأ الفاعلية في الحصول على الخبرة والتعلم، يجعل المتعلم يكسب الخبرات عن طريق حل المشكلات التي تصادفه بنفسه.

« يقول ديوي" الخبرة هي شيء ما بالإضافة أنها موجودة في الطبيعة، وما لم نمر به فهو ليس بخبرة... في الأشياء والتي تتفاعل معا بطرق معينة هي ما نسميه بالخبرة، إنما ما نمر به[2] » .

وبهذا يتضح لنا أن الخبرة معنى حي ينمو مع نمو الفرد وتفاعله في الحياة.

---

[1]-احمد فؤاد الأهواني ، المرجع السابق، ص51

[2]-رالف .ن وين ، المرجع السابق ،ص98.

[3]-احمد فؤاد الأهواني ، المرجع السابق ، ص،51.

[1]- احمد فؤاد الأهواني ، المرجع السابق، ص 52.

[2]-جون ديوي ، الخبرة والطبيعة، المصدر السابق ، ص49.

- **ثانيا:** إن التلميذ ينبغي أن يستفيد من نشاطه الجسماني في كسب الخبرة ما دام الإنسان ليس عقلا فقط ولا جسم« فقط، وإنما هو إنسان بجسمه وعقله معا، وهذا هو السبب في تحويل المدارس من هيئتها القديمة إذا معامل وورش يتحرك فيها الطفل ويختبر ويجرب[3] » .

يتبين لنا أن ديوي دعا إلى اختبار الأفكار والمواهب وهو الذي يلبسها لباس الحقيقة ويكسبها كمال المعنى، لذلك من الضروري منح المدرسة فرص لتجريب الأفكار واختبار صحتها.

« في الخبرة كسعي تتضمن تغييرا، ولكن التغيير يكون تحول عقيما ما لم تكن مرتبطة ارتباطا واعيا بموجة النتائج العائدة التي تنساب منها[4]» .

نفهم من هذا أن ديوي يؤكد على الصلة الوثيقة بين الخبرة والتجريب، فالتعلم وفي نظره ما هو إلا ثمرة التجريب المستمر الذي يمكن الطفل من التعاطي الإيجابي مع المواقف العلمية التي تعدل من سلوكه وأفكاره، فتنتج ونتائج إيجابية.

- **ثالثا:** «الاستفادة من جميع الحواس في التعلم كالبصر والسمع واليد[1]» .

في هذه النقطة نفهم أن ديوي يؤكد على دور الحواس وأهميتها في الحصول على الخبرة، فمن طريقه يشارك الإنسان بصورة مباشرة في إحداث العالم من حوله.

يقول ديوي في هذا الصدد: « فإن أي إقلال من قيمة أعضاء الحس في اجتياز الخبرة من شأنه أن يؤدي بنا إلى خبرة ضعيفة[2]» .

نفهم من هذا أن ديوي يركز على الحواس الخمس وهي أدوات أساسية لاكتساب الخبرة والمعرفة وأي إهمال لإحدى هذه الحواس قد يضيع فرصة الحصول على خبرة جيدة والاهتمام بتطوير جميع حواسنا وتفعيلها بشكل كامل يساعدنا على الاستفادة الكاملة من الخبرة، وأي إقلال من قيمة أعضاء الحس يؤدي بنا لخبرة ضعيفة.

« فكل تجربة وإن كانت مستقلة كل الاستقلال عن رغبة الفرد وقصده تخلد بأثرها في غيرها من الخبرات، وعلى ذلك فإن المشكلة الرئيسية أمام التربية التي تقوم على أساس الخبرة هي أن تنتقي من الخبرات الحاضرة ما يترك أثرا مثمرا في الخبرات التالية ويطبعوها بطابع الابتكار[3]» .

نفهم من خلال هذا أن التجارب يخوضها الفرد بقصد أو بغير قصد تؤثر بشكل أو بآخر في خبراته المستقبلية،لذا ديوي يركز على كيفية انتقاء الخبرات التي لها أثرا إيجابيا وتطويرها للوصول للإبداع.

« و للخبرة مظهران، مظهر مباشر من حيث ملائمتها للشخص واستمتاعه بها أو عدم ملائمتها له وعدم استمتاعه بها ومظهر غير مباشر من حيث تأثيرها فيما بعد ذلك من خبرات،

---

[3]-احمد فؤاد الأهواني ، المرجع السابق، ص52.
[4]- رالف .ن وين ، المرجع السابق ، ص 98.
[1]- احمد فؤاد الأهواني ، المرجع السابق ، ص52.
[2]-جون ديوي ،الفن خبرة ، مصدر سابق ،ص41.
[3]-جون ديوي، الخبرة والتربية، تر: محمد رفعت رمضان، مكتبة الأنجلو المصرية،دط، دس، ص22.

غير أن الأهم من الناحية الفلسفية هو المظهر الثاني الذي يسمح للخبرة بمتابعة النمو وليست كل خبرة فهي نافعة على العكس قد تكون ضارة[1]» .

ويتضح لنا من هذه النقطة إن ديوي ولا يبتعد كثيرا في تفكيره عن السلوك الطبيعي للإنسان في حياته مباشرة، في الإنسان يتعلم بالتجربة سلوكا سلبيا أو إيجابيا عن طريق المحاولة والخطأ، ويكتسبوا الإنسان بذلك خبرة أو خبرات، والخبرة الأكثر إيجابية حسبه هي التي تؤثر في ما بعدها من خبرات.

« والخبرة الضارة هي التي تفوق نمو الخبرة في المستقبل، وذلك لأنها قد تؤدي إلى التبلد كما تمنع الحساسية والاستجابة للمؤثرات استجابة طيبة فتقلل بذلك من قدرة الشخص على الحصول على الخبرات أعني في المستقبل، وقد تؤدي الخبرة إلى زيادة المهارة الآلية في اتجاه معين، فتضيق بذلك مجال الخبرة المستقبلية[2]» .

نفهمه من هذا المنطلق أن التفكير المنطقي لهذا العالم، هو أن الطفل حيث يقوم بتجربة فكرة ما ليحكم على صلاحيتها من خلال نفعها ويستبعد والخبرة الغير النافعة، فالطفل مثلا يحاول طرقا كثيرة لفتح الباب، الطريقة التي تنجح هذه النتيجة يحتفظ بها ويترك الطرق التي فشلت،في المرة اللاحقة يعيد الطفل المهمة ذاتها بل يستعمل الفكرة النافعة السابقة وإن لم تساعده باعتباره أمام باب مختلف فإنه يبحث عن فكرة جديدة وهكذا...

« فلسفة ديوي تمتاز بأنها تطبيق أو محاولة لتطبيق المنهج العلمي على الأمور الإنسانية التي تمتاز بالخبرة أو معاناة الفرد لها،في مقابل الأمور الطبيعية المستقلة عن الخبرة الإنسانية، وديوي ربط بين الخبرة والنمو وكذلك إعادة بناء الخبرة والميل[3] » .

نفهم أن فلسفة ديوي ترتكز على الخبرة والتجربة العلمية، وذلك من أجل تحديد الأساليب الأفضل للتعلم والنمو الشخصي، وتهدف للوصول لطريقة تعليمية أساسها الخبرة والتطبيق على أرض الواقع علميا،كما يتضح لنا أن منهجه ويرتقي للمنهج العلمي في فهم الأمور الإنسانية وذلك عن طريق تحليل الخبرات التي يمر بها الفرد والتأثير الذي تخلفه عليه وعلى النمو الشخصي،ومن خلال هذا المنهج العلمي يتم تحرير الأمور الإنسانية بشكل أكثر دقة وتعمق أو تحديد أفضل السبل لتعامل معها وقد يستشعر الإنسان متعة مباشرة من الخبرة،ولكنها رغم ذلك تنمي فيه سلوك التاريخي والإهمال.

« وقد تكون الخبرات من التفكك فيما بينهما بحيث تجعلها غير متكاملة ولو أن كلا منهما على حدى محبوب ولذيذ، ويؤدي هذا التفكك إلى عدم تماسك الشخصية، فيكون مشتت الفكر، شاردا ما يمنع المرء من التحكم في الخبرات في المستقبل، ولا يحسن ضبط النفس،وهي الفضيلة الرئيسية في الإنسان والتي تحل محل الضوابط الخارجية [1]» .

يتضح لنا من هذه الفكرة أن الإنسان يستطيع الحصول على متعة فورية من الخبرات التي يعيشها، ولكن هذه المتعة الفورية قد تؤدي للإهمال، فهي غير دائمة، ذلك أن الإنسان عندما يشعر

---

[1] - احمد فؤاد الأهواني ، المرجع السابق،ص52

[2] - المرجع نفسه ، ص 52

[3] - شبل بدران، أحمد فاروق محفوظ ، مرجع سابق، ص236

[1]-احمد فؤاد الأهواني ، المرجع السابق، ص 53

بالراحة والرضا من الخبرات التي يعيشها، فإنه يتوقف عن السعي والتحرك لتحقيق المزيد من الأهداف والإنجازات، على سبيل المثال، قد يشعر الشخصبالسعادة والمتعة عند مشاهدة التليفزيون لساعات طويلة في وقت العمل بدلا من القيام بالمهام المهنية المطلوبة، هذا الاستمتاع الفوري يعزز الرغبة في تجاهل الواجبات والمسؤوليات، مما يؤثر سلبا على الإنتاجية والتطور، يتبين لنا أن الخبرة حسب ديوي تتشكل لعدة عوامل بما في ذلك تشويه في ذاكرة الشخص أو نشاط غير طبيعي في الدماغ، قد يكون الشخص يواجه صعوبة في تجميع وتكامل الخبرات المختلفة التي يعيشها حيث يشعر أنها محبوبة ولذيذة على حدة، ولكنها لا تندمج معا بشكل سلس، هذا التفكك وعدم التكامل قد يؤدي إلى عدم تماسك الشخصية وشعورها بالتشتت وعدم القدرة على التحكم في الخبرات وضبط النفس في المستقبل.

الخلاصة:

لا توجد خبرة تبدأ وتنتهي مستقلة بذاتها،بالكل خبرة وإن كانت مستقلة كل الاستقلال عن رغبة الفرد وقصده فإنها تخلد بآسرها في غيرها من الخبرات وهي كالحياة نفسها متصلة النمو.

وهذا يسلمنا إلى مبدأين أساسيين للخبرة وهما:

أ- **الفرع الأول: مبدأ الاستمرار**

«يسمى أيضا مبدأ تواصل الخبرة يعتمد على العادة،بشرط أن تفسر تفسيرا بيولوجيا فصيلة الحق ليست العامة مجرد طريقة آلية لأداء الأعمال بطريقة ثابتة، وإنما هي تكوين الاتجاهات النفسية انفعالية كانت أو فكرية،ثم كيفية مواجهة الأحاسيس الأولية واستجابتها لظروف الحياة »[1] .

نفهم أن هذا المبدأ يعتمد على العادة والتكرار كوسيلة لتحسين الأداء وتحقيق النجاح في الحياة، ويمكن لهذا المبدأ أن يسهل علنا عملية التحكم في الأحاسيس الأولية، ويمكننا من التدريب المنتظم للخبرات والمهارات،كما تعمل العهد على تكوين الاتجاهات النفسية والانفعالية والفكرية، وتتأثر بالظروف الحياتية المختلفة وطريقة استجابتها لها.

فالعادات ليست ثابتة مطلقا،بل تتغير تتبدل ثمرةتغير الظروف الخارجية ونمو الفرد،وينشأ هذا التعديل ويؤثر بدوره في صنف الخبرات التالية،ويركز ديوي على الطريق الديمقراطي الذي يقوم على احترام حرية الفرد،وعلى مراعاة الوئام والتعاطف في العلاقات بين الناس» [2].

يتضح لنا أن هذا المبدأ يعتمد على تكرار الأنشطة والتدريبات والخبرات التي يتم تكرارها باستمرار،وهذا التكرار يؤدي لتوسع الإعداد والاتجاهات فتشكل سلوكنا و وشخصيتنا وتؤدي لاكتساب خبرات جديدة.

«وإذا كانت التربية نموا ورقيا من الناحية الجسمية والفكرية الخلقية فلا غرابة أن تقوم على مبدأ استمرار الخبرة،وقد يعترض بأن النمو قد يجري في اتجاهات مختلفة وقد يكون بعض هذه الاتجاهات ضارا » [3].

---

[1]-احمد فؤاد الأهواني ، المرجع السابق ، ص53

[2]–المرجع نفسه، ص 53.

[3]-المرجع نفسه، ص 53.

يتضح لنا أن التربية أثر في النمو الجسدي والنفسي وحتى الخلقي،ويتم تعزيز وتنمية جوانب الشخصيات لدى الفرد،ومع ذلك يجب التركيز على الجانب الإيجابي وتجنب الجانب الضار الذي يؤثر على الفرد سلبا.

«يقول في هذا ديوي نمو الشخص لغايته فيكون **"قاطع الطريق"** أو عضو في عصابة أو سياسيا »[1] .

من قول ديوي يتبين لنا أن تنمية الشخصية ليست إيجابية فقط، في الفرد قد يتأثر ببيئة ومجتمع غير سليم في نمو في ظروف غير صحية، ويؤدي ذلك السلوك سلبي.

«ولكن هذا لا ينبغي أن الترب نمو بوجه عام،إما أن يكون هذا النمو صالحا أو غير صالح، نافعا أو ضارا ، في مسألة أخرى ترجع إلى تقدير القيم ومعايير الأخلاق.» [2]

يتضح لنا أن فكرة جون ديوي في التربية والتعليم لا يجب أن تقتصر على تعليم المهارات الأكاديمية والمعرفية بل يجب أن تشمل تطوير الشخصية والأخلاق والقيم الإنسانية، وبالتالي فالتربية تهدف إلى تطوير الإنسان في شتى المجالات، وعند الحديث عن صلاحية هذا النمو يجب أن تساعد على نمو الفرد بشكل إيجابي وتساعده على تحقيق أهدافه وطموحاته بطريقة صحيحة وتساعده على التفكير الإيجابي والتعامل مع الصعوبات بشكل إيجابي.

«ويبقى أن مبدأ استمرار الخبرة هو المبدأ الجوهري في التربية فهو جوهري أن تواصل الخبرة في اتجاه المعين يؤدي إلى تقوية الميول التي تعمل على كسب خبرات جديدة من جهة إيثار أهداف معينة والتي نغير منها،ماشي إلى تحقيق هذه الأهداف وتيسيرالطريق إلى بلوغ هذه الأهداف » [3].

ما نفهمه إن فكرة ديوي هي فكرة مهمة وضرورية في عالمنا الحالي، حيث يحتاج الفرد إلى تطوير شامل لشخصيته وقدرته ليصبح قادرا على تحقيق طموحاته والمساهمة في إنماء مجتمع أفضل وهذا عن طريق الخبرة ،التي اعتبرها ديوي المركز الجوهري في عقيدته التربوية وهي سلسلة من الاختبارات تمكن الفرد من تنمية معارفه ومهاراته واتجاهاته وبالتالي تحقيق التكامل في شخصيته ولعل هذه الفكرة مهمة لدرجة أنه يجب على المؤسسات التعليمية والمعلمين أن يضعوا هذه الفكرة نصب أعينهم عند تصميم مناهجهم وخططهم التعليمية وأن يعملوا على تنمية شخصية المتعلم في شتى المجالات، كما أيضا ينصب وأهميته هذه الفكرة على المستوى الشخصي إذ يجب على الأفراد أن يكونوا مستمرين في تطوير أنفسهم.

ب- الفرع الثاني مبدأ التفاعل:

«هناك عاملان يكونان الخبرة، وهما الظروف الخارجية والداخلية وكل خبرة عادية هي ثمرة التفاعل بين هاتين المجموعتين، ويسمى تفاعلها موقعا، والخبرة الحقيقية تقتضي ضربا من التنظير والتنسيق بين الظروف الخارجية والداخلية، مثال ذلك أن الطفل في حاجة إلى الطعام والراحة والنشاط »[1] .

---

[1]- جون ديوي ، الخبرة والتربية ، المصدر السابق ، ص23

[2]-احمد فؤاد الأهواني ، المرجع السابق ، ص54

[3]- المرجع نفسه ،ص54

[1]-احمد فؤاد الأهواني ، المرجع السابق ، ص56

نفهم من هذا المقصود أن ديوي يرى أن الخبرة تشكل من خلال عاملين أساسيين الفرد والبيئة وهو ما يشكل موقعا، فالطفل ويكسبه خبرة من خلال تفاعله مع الظروف الخارجية المتمثلة في وجود الغذاء، مكان النوم ... وتفاعله مع الظروف الداخلية المتمثلة في رغبته في الطعام والنوم...

«وهذه الحاجات ضرورية للحياة، فلا بد من توفير التغذية وإعداد وسائل النوم المريح، وإفساح المجال للنشاط بالحركة واللعب، ليس معنى ذلك أننا نعطي الغذاء للطفل كما طلبه، بال من واجب الأم الحكيمة أن تنظم ساعات الراحة واللعب، وهي لا تكتفي بذلك بال تستعين بما مر من خبرات المتخصصين السابقة إلى جانب إلى جانب خبرتها الشخصية فتهتدي بذلك إلى آخر الخبرات ملائمة لنمو الطفل نموا صحيحا»[2].

يتضح لنا إن ديوي يركز على توفير بيئة صحيحة ومريحة للطفل من أجل نمو الصحيح، كتوفير للطفل: التغذية الجيدة، اللعب الفعال، الراحة، الحركة...

لذا على الأم الحكيمة كما يسميها ديوي توفير وتنظيم هذا الجو بشكل جيد لتحقيق أفضل نتائج لنمو الطفل .

إن القول بأن الأفراد يعيشون في عالم يعني في الواقع أنهم يعيشون في سلسله من مواقف، وعندما يقال عنهم يعيشون في سلسلة من المواقف، فإن معنى كلمة " في " هنا يختلف معناها عندما يقال:إن النقود " في" الجيب أو الطلاء في الوعاء فهي تعني المرة الثانية أن التفاعل قائم بين الفرد والأشياء أو غيره من الأفراد[1]».

يتضح لنا أن ديوي يشير إلى أن التعليم يجب أن يكون تفاعليا بين المتعلم والمحيط المدرسي وأن هذا التفاعل يختلف حسب الأشخاص والمواقف ويشدد ديوي على أهمية توفير الأدوات والوسائل التعليمية المناسبة لاكتشاف العالم والتي تساهم في تطوير القدرات والمواهب.

«والتفاعل يتم من الفرد ومن غيره من الأشياء أو غيره من الأفراد، فتحصل الخبرة من هذا التفاعل بين الفرد وبين البيئة، أي بين حاجة الفرد ورغباته ونزعاته بين الظروف الخارجية، وقد سمينا التفاعل بين هاتين المجموعتين موقفا، فالموقف والتفاعل متلازمان، ووجود المرء في سلسلة من المواقف يؤدي إلى اكتساب خبرات جديدة، وإلى استمرار الخبرة، ومن ثم كان مبدأ التفاعل متصلا بمبدأ استمرار الخبرة[2]» .

يفهم من هذا أن ديوي ينظر إلى أن الفرد يعيش في عالم يتكون من مواقف، وهنا شخصية الفرد تتحدد تبعا لتلك المواقف وتؤثر على تصرفاته وسلوكه، فالأفراد يتفاعلون مع حالات وجميع مواقف الحياة التي يتعرضون لها ، فتشكل تجربة فردية تختلف من شخص إلى آخر ونتيجة لتعرضه لمواقف يكسب خبرة جديدة تساعده في التكيف مع مواقف أخرى وهكذا، لذا فإن الفرد يتأثر بالعلاقات والتفاعلات التي يعيشها في بيئته ومنه فمبدأ التفاعل ملازم لديمومة الخبرة واستمرارها.

---

[2]-المرجع نفسه ، ص56

[1]- جون ديوي ، الخبرة والتربية ، المصدر السابق ،ص 39

[2]- أحمد فؤاد الأهواني ، المرجع السابق ،ص58.

«وكلما مر الفرد من موقف إلى آخر اتسع علمه، أي بيئته، ليس معنى ذلك أنه يعيش في عالم آخر، بل يعيش في العالم نفسه وقد اتسعت آفاقه واتضح معناه، ويصبح ما يعمله من دروب المعرفة ومهارات في موقف من المواقف أداة لفهم المواقف التالية وعلاجها علاجا فعالا مثمرا، وتبقى هذه العملية ما بقيت الحياة وما دام التعلم[1]» .

يتضح لنا أن ديوي يشير إلى أنه من الضروري أن يعيش الفرد في عالم مغاير لعالمه ليكتسب مهارات ومعاني جديدة، فقد يعيش الفرد في عالمه ليكتسب مهارات ومعاني جديدة ويزداد عمله ومهاراته ويتسع عالمه وذلك كلما مر من موقف إلى آخر، وبالتالي هذه العملية تستمر طوال الحياة ما دام التعلم مستمرا.

«والخبرة هي دائما ما عليه الوجود(عمل مشترك بين الفرد وما يكون بيئته)،... ومعنى هذا أن البيئة في كل الظروف التي تتفاعل مع حاجات الفرد ورغباته وأهدافه وقدراته لخلق الخبرة التي تكتسب[2]» .

يتضح من هذا أن الفرد عند ديوي يتعلم من خلال تفاعله مع بيئتيه، فإنه يتطور وينمو باستمرار، وتزداد معرفته ومهاراته في كل مرحلة من حياته، ويمكن للفرد أن يستفيد من الخبرة التي يكتسبها في مواقف مختلفة ويستخدمها في التعامل مع المواقف المستقبلية بطريقة أكثر فعالية ونجاح.

«وإذا لم يفطن المربي إلى هذه الصلة الوثيقة بين تفاعل ظروف البيئة الخارجية وبين الحاجات والرغبات الباطنة تعطلت الخبرة وواقع حتى على النمو، وآية ذلك أن كل واحد منا يرجع بذاكرته إلى أيام المدرسة، ويعجب ولما حل بالمعلومات التي كان من المفروض إنه حصلها في أيام الدراسة، ومن إصراره لإعادة تعلم المهارات الفنية التي اكتسبها من قبل بطريقة تختلف عن الطريقة التي تعلم بها في المدرسة[3]» .

يتبين لنا أن التعلم والتطور لا يقتصر على الحصول على المعرفة والمهارات في وقت معين من الحياة، بل مستمرا طوال الحياة وبالتالي فيجب على المربي أن يدرك أهمية توفير بيئة مناسبة لتعلم الأفراد لتطوير مهاراتهم والنمو بشكل سليم، لذا فتشجيع الأفراد على تطوير مهاراتهم واكتساب خبرات جديدة يعد من الأمور الأساسية التي يجب أن يهتم بها المربي.

«والسبب في ذلك أن الطالب كان يتعلم المواد الدراسية المختلفة لمجرد اجتياز الامتحان، وأنه كان يدرس تلك المواد منقولة عن غيرها... مما دفع الإنسان منعزلا غير مرتبط بالخبرات السابقة، فليس من الخبرة في شيء، مثال لذلك فالنفرض أن النار قد اشتعلت في رجل وهو نائم فأحرقت جزء من جسمه ، فهذا الحرق لم ينشأ من شيء يعرف أن الرجل قد فعله، فلا يمكن أن يكون هنا شيء يصح أن نسميه خبرة بشكل نتعلم منه شيئا ما... ولا تؤدي إلى عواقب في الحياة... فليس هناك خبرة إذن[1]» .

---

[1] - أحمد فؤاد الأهواني ، المرجع السابق ، ص58.
[2] - جون ديوي ، الخبرة والتربية ، المصدر السابق ، ص39
[3] - أحمد فؤاد الأهواني ، المرجع السابق ، ص57
[1]– أحمد فؤاد الأهواني ، المرجع السابق ، ص59

نفهم من هذا المقصود أن ديوي يرى أنه من الضروري جعل المواد الدراسية مترابطة مع بعضها وتكمل بعضها، ليستطيع المتعلم تكوين خبرة كاملة، تكون ذات ارتباط بفعل سابق عليها.

فالخبرة الحقيقية حسبا ديوي هي التي تخلق نتائج عملية ولا آثار متراكمة لخبرات سابقة، وهي خبرة بمعنى حيوي لها دلالتها ومعناها في العقل، وهنا يأتي في أذهاننا مثال الطفل الذي وضع إصبعه في النار بشكل غير مقصود، إلا أنه ثمة شيئا يحدث له يعني، فيعاني الطفل من حرارة الحرق ويقاسي ألمه وهنا فعلا الحرق والمعاناة مرتبطان ببعضهما مما يستدعي، تمثلهما في العقل وهنا تكون الخبرة الحقيقية حسب ديوي.

كما يجدر الإشارة إلى أن: «الفرد الذي يدخل في هذا التفاعل ليكون عاملا من عوامل الموقف يبقى كما هو في وقت معين، لأن العامل الآخر هو عامل الظروف الموضوعية وهي الظروف التي وسع المربي أن ينظمها، فالمقصود بذلك طبعا أن قدرته على التأثير بطريقة مباشرة في خبرات الآخرين، وفي التربية التي يحصلون عليها تبعا لذلك تلقي عليه واجب تحديد تلك البيئة التي سوف تتفاعل مع قدرات المتعلمين الفعلية وحاجتهم حتى تنتج لهم خبرة لها قيمتها[2]» .

نفهم من هذا ديوي ولا يركز فقط على الذات العارفة في عملية التفاعل واكتساب الخبرة لأن الموضوع الخارجي عامل آخر ضروري لهذه العملية، والمربي له القدرة على توفير الظروف الملائمة لاكتساب الخبرات وذلك بتنظيم جو ملائم للمتعلم والوسائل المناسبة وتلبية حاجاته للوصول لتحصيل خبرة ذات فاعلية وجودة لها نتائج قيمة.

«ولم يكن عيب التربية التقليدية أن المربيين قد أخذوا على عاتقهم مسؤولية إيجاد البيئة بل كان ذلك العيب في أنهم أغفلوا العامل الآخر الذي يدخل في خلق الخبرة، ألا وهو قوة أولئك الذين يتعلمون وأهدافهم، فقد كان المفروض أن هناك طائفة معينة من الظروف مرغوبا فيها لذاتها بغض النظر عن قدرتها على استشارة نوع معين من الاستجابة في نفوس الأفراد[1] » .

يشير جون ديوي على حد فهمنا أن التربية التقليدية لها عيوب من بينها إغفال العوامل التي تؤثر على الجانب الشخصي للمتعلم من بينها مراعاة الفروق الفردية كالقوة العقلية والحسية، إغفال مهاراتهم ورغباتهم، آمالهم وعلى المربين إن لا يغفلوا هاته الجوانب الأساسية المتحكمة في تجربة المتعلم والتطوير الشخصي، لذلك من المفروض إنشاء بيئة محفزة ومناسبة للتطوير الشخصي.

نخلص إلى أن مبدأ الاستمرار ومبدأ التفاعل لا يفترقان أحدهما على الآخر، بل إنهما يلتقيان و يتحدان، حتى يمكننا القول بأنهم الجانب الطولي والعرضي للخبرة.

المطلب الثاني : الحرية

« يعتقد جون ديوي أن الحرية تعني في كل زمان ومكان تحرر فئة معينة من الناس من بعض القيود، في الحرية بنظره إلى شيء نسبي لا مطلق أم يتغير معناه بتغير الزمان والمكان[2]» .

نفهم من هذا أن جون ديوي يرى أن مفهوم الحرية متغير حسب الزمان والمكان والفئات الاجتماعية، وبالتالي فهي نسبية بتغير الظروف والمحيط الاجتماعي الذي تتواجد فيه فئة معينة من

---

[2]- جون ديوي ، الخبرة والتربية ، المصدر السابق ، ص 40-41.

[1] - جون ديوي ،الخبرة والتربية ، المصدر السابق ، ص41.

[2] - نوري جعفر، جون ديوي، حياته وفلسفته، مطبعة الزهراء، بغداد، د س، دط ، ص 51.

الناس، فيختلف ومفهوم الحرية من مجتمع لآخر ومن فترة زمنية لأخرى، هذا ما يدفع الناس لأني ظالم من أجل الحرية والتحرر من الاستبداد والقيود.

« يقول ديوي:

- الحرية هي إطلاق القدرة من أيما شيء يكفيها
- نحن أحرار بالدرجة التي نتصرف بها ونحن نعلم بالذي نحن عليه مقبلون، إن مطابقة الحرية(بحرية الإدارة)تصنع ظل التمام في المكان الخاطئ.
- نحن أحرار ليس بسبب كينونتنا الراهنة أو زمننا الراهن، ولكن بالدرجة التي نصبح بها مختلفين عما كنا[1]» .

نفهم من تعريف ديوي: إنه اعتبر الحرية هي القدرة على القيام ما نريد بعيدا عن القيود التي تحول دون تحقيق هذه الأهداف والتي من ضمنها القيود الاجتماعية والثقافية والاقتصادية، كما يعتبر ديوي أن الإنسان عندما يتصرف الفرد بحسب إرادته الخاصة وليس بالإرادة العامة التي تفرضها المجتمعات، أما بالنسبة للنقطة الثالثة فهم أن الحرية هي القدرة على القيام بما يريد المرء وتمكنه من التصرف مع الظروف المحيطة به.

«يقول ديوي أن الحرية الفردية والتنظيم الاجتماعي ينشآن متلازمان، فلا يمكن أن يتحقق أحدهما على حساب الثاني، فإذا انعدمت الحرية الفردية انعدم التنظيم الاجتماعي انعدمت الحرية الفردية كذلك أصبح الأفراد سائرين وفق قاعدة التسبب والفوضى وعلى هذا الأساس يمكننا أن نقول على حد تعبير ديوي أن التنظيم الاجتماعي لا يحصل إلا إذا رافقته الحرية فردية، والحرية الفردية بدورها لا تزدهر دون وجود حارس ومنظم[2]» .

نفهم من هذا النادي أكد فكرة الحرية الواقعية فقد ساهم في تأهيل شخصية الفرد لتطوير المجتمع وبناء الدولة من خلال دعوته إلى تطبيق الحرية الملائمة للواقع المعاصر، في نواحي الحياة جميعها، وذلك بإيجاد الحلول الناجعة لمشكلة العلاقة بين حرية الحياة جميعها، وذلك بإيجاد الحلول الناجعة لمشكلة العلاقة بين حرية الفرد وحرية المجتمع.

«يبدأ وجون ديوي بحثه فيما يتصل بمعنى الحرية في الوقت الحاضر بتوجيه من الأسئلة ثم يحاول تلمس أجوبة يراها وجيهة لتوضيح وجهة نظره في ما ينبغي أن تكون عليه الحرية في هذا العصر الذي نعيش فيه، ومن أهم تلك الأسئلة ما يلي: الحرية؟ لماذا يرغب الناس فيها؟ أيرث الإنسان الحرية؟ أم أن الحرية شيء مكتسب تأتي للإنسان من البيئة الاجتماعي التي يشاركها؟ هذه الحرية غاية في ذاتها؟ أم أنها وسيلة لتحفيز غايات أخرى...[3]»

نفهم من هذا أن ديوي في حواراته يركز على إيجاد معنى الحرية ودورها في حياة الإنسان، إذا تم فهمه دورها بشكل سليم يؤدي لتحسين جودة حياته، في الحرية تمكن الإنسان من التحكم في حياته واتخاذ القرارات والوصول لطموحاته وأهدافه والتعبير عن ذاته والتفرغ لتحقيق إنجازاته الشخصية.

---

[1] - رالف ن.وين ، المرجع السابق، ص98.

[2] - نوري جعفر،المرجع السابق ، ص 76

[3] - نوري جعفر،المرجع السابق ، ص 76

« يقول ديوي أن نلمس الإجابة المقنعة على هذه الأسئلة ليس من الأمور العينة...إني شخصيا أميل إلى الاعتقاد وربما كنت غير محقا بأن الحرية الفردية شيء مكتسب يتعلمه الإنسان من البيئة الاجتماعية التي يشاركها حياتها، لذلك نرى معنى الحرية الفردية يختلف باختلاف الزمان والمكان... والحرية بنظرة ديوي وسيلة لا غاية بعد ذاتها، أي أن الإنسان عن طريق تمتعه بالحرية يسعى لتحقيق غاية أخرى[1]» .

يتضح لنا أن ديوي يرى أن الحرية الفردية تتأثر بالعوامل المحيطة، كالبيئة الاجتماعية والثقافية والتاريخية، والحرية حسب هي وسيلة لتحقيق أهداف مثل إثبات الذات، تحقيق إنجازات الوصول للسعادة والعيش بسلام، وهذا لا يعني أن يكون الفرد حر حرية مطلقة، بل يتعين عليه أن يكون مسئولا، لأنه حرية الفرد تقف عند حرية وحقوق الآخرين.

«الحرية هامة لأنها شرط لازم لتحقيق كل إمكانيات الفرد والتقدم الاجتماعي، فبدون **"ضوء"** يقضي على أي قوم بالانقراض- وبدون الحرية يتلاشى الضوء تدريجيا ويسود الظلام[2]» .

كل ما يتاح للفرد لتحقيق طموحاته وأهدافه بكل حرية كل ما ينعكس على المجتمع بشكل إيجابي وبالتالي فإن انكماش الحرية يؤدي إلى إنقاص من إمكانيات الفرد ويكون عائق أمام التطور وتقدم المجتمعات، وهو ما قصده بالنور، في الحرية نور لتقدم المجتمعات.

فمثلا، عند تعرض دولة قوية للسيطرة على دولة ضعيفة وتفقدها حريتها، فهذه الدولة تعاني من المشاكل والتخلف والفقر وانعدام الحرية الإعلامية مثلما هو الحال في فلسطين، سوريا، العراق ... إلخ.

«ثم إن الحرية ينبغي بصاحبها شعور بالمسؤولية وإلا انقلبت إلى فوضى وفقدت أهميتها من الناحيتين الفردية والاجتماعية، وناحية المسؤولية في الحرية هي الجانب الاجتماعي الذي يسير تصرفات المرء وفق هدية وتوجيهات، وهذا الجانب يقول ديوي هو الذي يجعل الإنسان يزن تصرفاته وزنا اجتماعيا من حيث آثارها ونتائجها عليه وعلى الآخرين[1]» .

الحرية التي يقصدها ديوي كما يتضح لنا ليست حرية فردية يتخذ صاحبها ما يروق له، بل يجب أن يتلازم معها الشعور بالمسؤولية، لأن الحرية دون أن يشعر الفرد بالمسؤولية تؤدي إلى فقدان النظام والأمن وتعم الفوضى والاضطراب وضياع قيمتها الحقيقية للفرد والمجتمع على حد سواء، هذا ما يجعلنا نعيد ترتيب أفكارنا فعال الفرد تحمل مسؤولية تصرفاته وأفعاله وأني راجع ما يترتب عنها و يصحبها للوصول لقرارات مناسبة تعود على النفع على الفرد والمجتمع وتؤدي للتطور والازدهار.

«بدون الحرية تصبح الحقائق القديمة مبتذلة وبالية ومهلهلة لدرجة أنها لا تصبح حقائق، وإنما تصبح مجرد إملاءات آمرة ناهية من قبل سلطة خارجية، بدون الحرية يغلق باب البحث عن

---

[1] - المرجع نفسه ،ص 76

[2] - رالف ن وين ،المرجع السابق، ص،87.

[1]- نوري جعفر،المرجع السابق ، ص 77

حقائق جديدة ويسد المدخل المفضي إلى مسالك جديدة، كثير الإنسانية في دورتها على نحو أكثر ثقة وطمأنينة وعدلا[2]» .

يتضح لنا أن الحرية تسمح للفرد بالتفكير بطرق جديدة ومختلفة تمام عن الحقائق التقليدية والنمطية المعتادة، والوصول إلى حقائق جديدة وتطوير طرق التفكير والعمل، وبالتالي هي نقطة يتحول والتغيير والتطور وتقدم المجتمعات في كافة المجالات فاصل أهو أما بالرجوع لإنسان دون حرية، تفقده القدرة على التطور وتبقيه في دائرة القهر والتخلف.

«إذا سلمنا بأن الحرية شيء مكتسب يتلقفه المرء من بيئته الاجتماعية جاز لنا بأن نقول بأن تحقيقها لا يتم إلا عن طريق التنظيم الاجتماعي والتشريع السياسي وهذا يعني أن المرء يكتسب حديثه بواسطة تداخل الحكومة في نفس حقوق ماله من حقوق وما عليه من واجبات. غير أن تداخل الحكومة... كثيرا ما يتم بشكل يحدد حريات الأفراد ويقلصها ما لم يقضي عليها[1]» .

ما نفهمه من هذا أن ديوي يركز على أهمية التنظيم الاجتماعي والتشريع السياسي في تحقيق الحرية، فصحيح أن الحرية شيء مكتسب من البيئة الاجتماعية لكن لا يمكن تحقيق حرية كاملة متكاملة فتدخل السلطة في تعيين حقوق وواجبات الأفراد يحدد حدود الحرية، لي يكون التدخل والتحكم من قبل الحكومات أحيانا ضروريا، ولكن يجب أن يكون مؤقت في ظروف معينة دون إضرار بحرية الأفراد.

«وعلى هذا الأساس يمكننا أن نقول إننا لكي نعرف الحرية السائدة في مجتمع من المجتمعات، ينبغي أن لا ننظر إلى ما يستطيع بعض الناس أن يفعلوه فقط، بل وإلى ما لا يستطيعون أن يفعلوه كذلك، وبسبب ذلك من الناحية الاجتماعية الواقعية إلى أن أفراد المجتمع في الوقت الحاضر بشكل خاص، يعيشون معتمدين على بعضهم اعتمادا كبيرا وكلما ارتقى المجتمع سلم التطور الثقافي ازدادت درجة ذلك الاعتماد وأصبحت أعمال الفرد وآراءه ذات أثر كبير في غيره من الأفراد[2]» .

يتضح لنا من هذا أن حرية الفرد في القول والفعل والعمل متعلقة بحرية غيره أشد التعلق، فما دامت مصالح الناس متشابكة فتتأثر حرية الفرد بحرية غيره.

---

[2]- رالف ن وين ،المرجع السابق ، ص87.

[1] - نوري جعفر،المرجع السابق ، ص 78.

[2] - المرجع نفسه، ص 79

الفصل الثالث
الأخلاق في فلسفة ديوي التربوية

تعد المشكلة الخلقية من ابرز المشكلات التي تعددت حولها الآراء الفلسفية، فظهرت اتجاهات ومذاهب لمعالجة فحوى الأخلاق، وإذا عرجنا لمكانة الأخلاق في الفلسفة فنجد امتدادها منذ تراث الشرق القديم إلى الفلسفات اليونانية عند **"سقراط وأفلاطون"**، حيث حاول هؤلاء معالجتها كمسالة سلوكية فجعلوا الفضيلة علما والرذيلة جاهلا، بعدها امتدت للفلسفة الحديثة فظهرت بارزة عند العقليين والتجريبيين إلا أنها ترجع عن كونها تعبير عن فلسفة ممثليها، والنظرية الأخلاقية عند **جون ديوي** هي اتجاه لمعالجة المشكلات الأخلاقية، فكيف تجسدت رؤية **ديوي** للأخلاق؟ وهل اختصرت عن كونها نظرية أم مست الجانب العملي التطبيقي؟ وما موقفه من الأخلاق الكلاسيكية؟ وهل سلم ديوي في موقفه الأخلاقي من العيوب والمأخذ؟ وما هي امتداداته المستقبلية؟

تمهيـد
المبحث الأول: التأسيس الأخلاقي للفلسفة التربوية
المطلب الأول: مفهوم الأخلاق
المطلب الثاني: أهم التصورات الفلسفية للأخلاق وموقف ديوي منها
المبحث الثاني: الأخلاق الديوية
المطلب الأول: طبيعة القيمة الأخلاقية
المطلب الثاني: الأخلاق الاجتماعية
المطلب الثالث: الأخلاق المدرسية
المبحث الثالث: أهم الانتقادات والامتدادات لفلسفة جون ديوي التربوية وتوجهها الأخلاقي
المطلب الأول: أهم الانتقادات الموجهة لفلسفة جون ديوي التربوية وتوجهها الأخلاقي
المطلب الثاني : امتدادات فلسفة جون ديوي التربوية وتوجهها الأخلاقي

المبحث الأول: التأسيس الأخلاقي للفلسفة التربوية

المطلب الأول: مفهوم الأخلاق

أ- **الأخلاق لغة:** «جمع خلق وهو العادة والسجية والطبع والمروءة والدين وعند القدماء ملكه تصدر بها الأفعال عن النفس من غير تقدم ورويه فكر وتكلف فغير الراسخ من صفات النفس لا يكون خلقا كغضب الحكيم وكذلك الراسخ الذي تصدر عنه الأفعال بعسر وتأمل كالبخيل إذا حاول الكرم[1]».

تعريف الأخلاق يتمثل في الصفات والقيم الأخلاقية التي تتحكم في سلوك الفرد وخلقه الشخصي وتنعكس في تصرفاته وأفعاله. وتعتبر الأخلاق من أهم الجوانب التي يجب تنميتها لدى الفرد، لأنها تمكنه من تحديد الخير والشر والقضاء على ما هو سيئ وغير مرغوب فيه.

وتعتبر الأخلاق أساس العلاقات الاجتماعية وبناء المجتمعات، حيث تؤثر على سلوك وتصرف الأفراد وتقوم بتنظيم الحياة الاجتماعية .ويمكن القول إن الأخلاق تمثل القيمة التي يعتمد عليها الفرد في اتخاذ.

تعريف **"ابن منظور"** للأخلاق: «الخلق الخليفة اعني الطبيعة في التنزيل أخلاق لا يكسر على غير ذلك .

ويقول أيضا في تعريف أخر: اشتقاق خليق وما اخلقه من الخلافة وهي التمرين ومع ذلك نقول الذي ألف شيئا صار له خلقا أي مر عليه ومن ذلك الخلق الحسن ويقال خالق الناس عاشرهم وفلان خليق بكذا أي جدير به ورجل خليق أي حسن الخلق»[2].

[1] - جميل صليبا، المرجع السابق ، ص 49

[2] - ابن منظور، لسان العرب، ج1، دار صادر، ط1، بيروت، 1990 ، ص85

فكرة **"ابن منظور"** في تعريف الأخلاق توضح أنَّ الأخلاق هي الطبع الذي يخلقه الله في الإنسان، حتى يتصرف بصورة تتماشى وتتفق مع معايير السلوك الاجتماعي المتفق عليها، ويتمثل هذا التعريف في تقدير الأخلاق كجزء من الطبيعة البشرية.

إنَّ الأخلاق مشتقة من الخلق الذي خلقه الله في الإنسان، والتي تتمثل في الأفعال والسلوكيات التي يتعامل بها الناس مع بعضهم البعض، وتركز على الاتجاه نحو الخير، وتتضمن تمريناً وتدريباً للإنسان على تحسين سلوكه وقيمه، ليكون مثالاً يُحتذى به في المجتمع، ويعمل تعريف الأخلاق على تنظيم سلوك الفرد، وتوجهاته نحو الخير والحق والاستقامة، وتساعده على التفريق بين الصواب والخطأ والفعل المحتمل والفعل الذي ينبغي تجنبه.

ب- الأخلاق اصطلاحا

«وفي الاصطلاح نجد أن الأخلاق قد يطلق على جميع الأفعال الصادرة عن النفس محمودة كانت أو مذمومة فنقول: **"فلان كريم الأخلاق أو سيء الأخلاق"** وإذا أطلق على الأفعال المحمودة فقط دل على الأدب لأن الأدب لا يطلق إلا على المحمود من الخصال»[1].

شموخ

كما أن الأخلاق لها « اعتبارين أحدهما عام والآخر أخص فمن العام ذكره **الغزالي** حين عرف الخلق بقوله: "الخلق عبارة عن هيئة في النفس راسخة عندما تصدر الأفعال بسهولة ويسر من غير حاجة إلى فكر وروية وصبر"»[2].

يتضح لنا أن الأخلاق مستقرة في نفس الإنسان فهي ثابتة لا تتغير غير طارئة للتغير ومن الأمثلة على ذلك هو أن يكون الإنسان صادقا ومخلصا في كل ما يقوله ويفعله حتى يصبح هذا السلوك جزءا من شخصيته المستقرة والراسخة.

كما نجد **"أرسطو"** يعرف الأخلاق في كتابه الأخلاق إلى **"نيقوماخوس"** إذ يقول:«ليس الغرض الحقيقي هو العلم نظريا بالقواعد بل تطبيقها، ففيما يتعلق بالفضيلة لا يكفي أن نعلم ما هي، بل يلزم على ذلك رياضة النفس على حيازتها»[3].

يتبين لنا هنا أن **أرسطو** ينظر للأخلاق على أنها تطبيقية، وليست مجرد نظريات وقواعد بل يجب تطبيقها على أرض الواقع، ومن هذا فالأخلاق تطبيقية عملية، فالإنسان الفاضل هو الإنسان الذي يكتسب الفضيلة ويعمل بها.

أما **ديوي** فقد عرف الأخلاق: «من الناحية العملية هي التقاليد وهي الأساليب الشعبية وهي العادات الاجتماعية المقررة»[4].

ما نفهمه أن الأخلاق عملية تطبيقية حسب **ديوي** تتدخل فيها العادات والتقاليد الاجتماعية

---

[1] - جميل صليبا ، المعجم الفلسفي ، المرجع السابق ، ص 45 .

[2] - أبو حامد الغزالي، إحياء علوم الدين، دار ابن حزم مكتبة الإمام، 1900 ، 2005، ص47.

[3] - محمد عبد الستار نصار، دراسات في فلسفة الأخلاق، دار القلم، ط1 ،الكويت ،1982 ،ص ،15 .

[4] - كفاء صالح العسكري، الغزالي وجون ديوي ونظرتهما للطبيعة الإنسانية ، مرجع سابق، ص140

وتعددت التسميات لمقصود واحد وهو علم الأخلاق ويسمى «بعلم السلوك أو تهذيب الأخلاق أو فلسفه الأخلاق أو الحكمة العملية أو الحكمة الخلقية والمقصود به معرفة الفضائل وكيفية اقتنائها لتزكو بها النفس ومعرفة الرذائل لتتنزه عنها النفس»[1].

يتضح لنا أن هذا العلم يدرس القيم والمعتقدات والمبادئ الأخلاقية التي يجب إتباعها في الحياة اليومية، وذلك من أجل تعديل وتسوية سلوكه الإنساني وتقويمه ونشر الوعي والأخلاق والنزاهة والسعي لبناء مجتمع متسامح و متحضر." نحن نطلق اليوم لفظ الأخلاق على المعاني التالية:

- **أولا: الأخلاق النسبية**

«الأخلاق النسبية وهي مجموعة قواعد السلوك المقررة في زمان معين لمجتمع معين نقول أخلاق العرب، أخلاق الفرس لكل شعب أخلاقه المتفقه مع شروط وجوده ولا يمكن أن تحمل على أخلاق غير أخلاقه دون تعريض نظام حياته للاضطراب والفساد»[2].

مما يتبين لنا أن **الأخلاق النسبية** هي عبارة عن مجموعة قواعد للسلوك التي تحددها العادات والتقاليد والتكوين الاجتماعي والتاريخ لكل مجتمع، حيث يكون هناك تباين واضح في المعايير الأخلاقية بين مجتمع وأخر حتى ولو كانت هناك ما يشبه القيم العالمية المشتركة.

كما نجد أيضا

- **ثانيا: الأخلاق المطلقة:**

الأخلاق المطلقة «وهي مجموعه قواعد السلوك الثابتة التي تصلح لكل زمان ومكان، ويسمى العلم الذي يبحث في الأخلاق بفلسفة الأخلاق، وهي الحكمة العملية التي تفسر معنى الخير والشر، وتنقسم إلى قسمين: أحدهما عام يشتمل على مبادئ السلوك الكلية، والأخر خاص يشتمل على تطبيق هذه المبادئ في مختلف نواحي الحياة الإنسانية، وجماع ذلك كله تحديد ما يجب أن يكون لا وصف ما هو كائن في الواقع»[3].

ما نلمسه من هذا المقصود أن الأخلاق المطلقة جزءا من الثقافة الإنسانية، حيث تعكس قيم ومعايير الشعوب والمجتمعات، وتتفق هاته الأخلاق على أنها نفسها بين الشعوب، رغم اختلاف الأزمنة والأماكن، ولها نفس المبادئ الأساسية مثل الصدق والعدل والرحمة والكرامة، والإنسان يجب عليه أن يتبع الأخلاق المطلقة في حياته اليومية، حتى يتمكن من التعامل بايجابية مع الآخرين، وتعليمها للأجيال لتمكينهم من تحديد ما هو صحيح وما هو خاطئ في تصرفاتهم.

المطلب الثاني: أهم التصورات الفلسفية للأخلاق وموقف ديوي منها

[1] - جميل صليبا ، المرجع السابق ، ص 48
[2] - المرجع نفسه ، ص 49
[3] - جميل صليبا ، المرجع السابق، ص50

طبق **ديوي** منازل البحث العلمي على القيم من خير وجمال فانتهى إلى رفض مذاهب الأخلاقيين السابقين من المثاليين العقليين والطبيعيين من التجريبيين والوضعيين على السواء، «هاجم المثالية لأن الأخلاق قد تحولت على يد المثاليين إلى علم صوري بعيد عن الواقع، إذ ردوه إلى مجموعة من المبادئ الثابتة المطلقة يفرضها فلاسفة الأخلاق، وهي أبعد ما تكون من واقع الحياة ومقتضياتها، وأنكر محاولاتهم في كشف غايات قصوى ومبادئ عليا ثابتة، تتخطى الزمان والمكان ولا تتغير بتغير الظروف والأحوال »[1].

يتضح لنا أن **جون ديوي** انحرف على المثالية ودعا لضرورة العودة لواقع الحياة ومتطلباتها وإيجاد مبادئ قائمة على المنطق والواقعية بدلا من الاعتماد على مثالية تنتهي صلاحيتها مع تغير الظروف والأحوال.

مثالية أفلاطون وموقف ديوي منها:

وأثناء بحث النظريات الأخلاقية فسرعان ما ظهرت:« أزمة كانت تشكل مضمون كتابات **أفلاطون** الأخلاقية وهي كيف يستطيع التفكير أن يصل إلى مستويات تكون صالحه للجميع وبالتعبير الحديث تكون موضوعيه ؟ والحل الذي وجده أفلاطون أن العقل نفسه موضوعي عام عالمي ويتخذ من الروح الفردية أداه له والنتيجة كانت مجرد إحلال أخلاق ميتافيزيقية أو علوية فلو أن أفلاطون أمكنه أن يرى أن التأمل والنقد من مظاهر صراع التقاليد وتكييفها لأصبح مسلك النظرية الأخلاقية بعد ذلك مختلفا للغاية »[2].

ما يتضح لنا أن فكرة أفلاطون حول أن العقل هو المصدر الأساسي للأخلاقي والقيم وأن الأخلاق تنبع من الشكل العلوي للعقل التي تشكل أكثر واقعية اجتماعية وهو ما أثار ديوي ودفعه لمعالجة هذه الأزمةة وتفسيرها فتوصل إلى أن النظرية الأخلاقية تؤخذ بعين الاعتبار تجارب الواقعية للأفراد والمجتمعات وأن القيم تشتق من التجارب والعلاقات الواقعية ولا يمكن أن تنحصر في الكتابات التجريدية .

ويتحدث ديوي عن نظرة الاتجاهات الدينية وموقفها من المشكلة الأخلاقية يقول: «يستهدف التأثير الديني بدعوة الناس إلى الاعتقاد بان هذا العالم يعمل دون ضعف أو تحول على معاونه الخير وعلى أن يكون الشر محتقرا لا غناء فيه وبالمنطق الحاذق كانت النتيجة إلا تمت الأخلاق بصله إلى عالمنا الواقعي وان تصبح علوية سماويه لأنه إذا ما كانت دنيا الخبرة والواقع لا تضمن تطابقا بين الشخصية والنتائج فان النتيجة تحتم وجودا حقيقيا خارجيا يفرض تطابق الذي تنقذه هذه الحياة»[3].

ما نلمسه من هذا المقصود بان ديوي يشير إلى أن توجه الإيمان الديني وتأثيره يركز على تشجيع ودعم معايير الخير والأخلاق في جميع جوانب حياتنا. حتى نتمكن من تحقيق الأمن

[1] - شبل بدران ، احمد فاروق محفوظ ، المرجع السابق، ص 290

[2] - جون ديوي، الطبيعة البشرية والسلوك الإنساني، تر محمد لبيب النجيحي، تصدير محمد مدين، سلسة ميراث الترجمة، العدد 2681 ، القاهرة ، 2015 ، ص 104

[3] - جون ديوي، الطبيعة البشرية والسلوك الإنساني، المصدر السابق، ص73

والاستقرار في المجتمع وتحقيق السلام الروحي والنفسي وعلى الإنسان المتخلق ذو الشخصية الأخلاقية الحقيقية أن يبني القيم الأخلاقية بصوره واقعيه تطبيقيه وعمليه فينفتح على العالم الخارجي وتطبيقها في حياتنا بدلا من اعتبارها مسالة علوية سماويه ميتافيزيقية بعيده عن الواقع

وبذلك يتكون الاتجاه الشائع الذي يقول حسب ديوي «بوجود عالم أخر تلقى فيه الشخصية الفاضلة والشريرة جزاءها الأخلاقي الأوفى وتتساوى هذه الفكرة من فكره القوه ألدافعه عند أرسطو في الحقائق الأخلاقية يجب أن تكون علوية ومع ذلك فهي تنتهك بشده في عالم يتجرع فيه سقراط سم المجرم ويحتل فيه الشرير مقعد القوه وتكمل نفس الفكرة تقريبا وراء كل طموح لتحقيق العدل المطلق المساواة المطلقة أو الحرية المطلقة وهي مصدر التفكير في كل عوامل العوالم الوهمية المثالية Utopias ومصدر كل الشك وعدم الثقة في هذه الحياة على وجه العموم»[1].

يتم التأكيد هنا على إن الحقائق الأخلاقية يجب أن تكون علوية ومع ذلك فهي تنتهك في عالم يتميز بالظلم والإثم حسب ديوي فهذه الفكرة تشير إلى وجود عالم أخر حيث يتم تقدير الأفعال الأخلاقية للأفراد وتلقى الشخصيات الفاضلة والشريرة جزاؤها الأوفى يتم استخدام هذه الفكرة في كل محاولات تحقيق العدل والمساواة والحرية المطلقة حيث يؤمن البعض بان هناك عالم ينصف الأشخاص ويعاقب الأشرار ويجاز الأخيار وهذه الفكرة بصفه عامه نفس فكره أرسطو القوه الدافعة.

هذه الفكرة تتعرض بشده للانتهاك في ظل لا عدالة وعدم توازن في المجتمعات المعاصرة والتي تحاول أن تحقق العدل المطلق.

كما يشبه جون ديوي علم الأخلاق بعلم الطبيعة يقول :«وهذا معناه أن نقول انه في علم الأخلاق كما في علم الطبيعة يجب أن تكون أشياء موجودة قبل أن ندركها وان القدرة العاقلة المدركة ليست هبه طبيعيه ولكنها نتيجة التعامل مع أنواع موضوعيه من التكيف والعلاقات وهي وجهه نظر قد حرفت في المثالية الأفلاطونية وغيرها من المثاليات الموضوعية... فإذا كان العقل هو مراقبه التكيف الأفعال حتى نصل إلى نتائج قيمه فانه ليس مجرد انعكاس تافه للحقائق السابقة للوجود[2]» .

ما نفهم من هذا المقصود أن دوي يشير إلى أن العقل مدرك ليس مجرد انعكاس تافه للحقائق السابقة في الوجود فالإنسان يجرب ويتعامل مع العلاقات الواقعية ومن خلال هذه التجارب يستطيع الإنسان إن يكتسب المبادئ الأخلاقية التي تطبق في حياتنا ومن هنا فالأخلاق والقيم واقعيه وعمليه فهي ليست مجرد تصورات فلسفيه معتقدات دينيه لا تسمن ولا تغني من جوع .

الاتجاه النفعي وموقف ديوي منه :

[1] - جون ديوي، المصدر نفسه ، ص73

[2] - جون ديوي، الطبيعة البشرية والسلوك الإنساني، مصدر سابق ،الصفحة 99.

أنكر ديوي مذاهب النفعيين « لأنهم ردوا الأخلاق إلى تحقيق مصالح ذاتية ورغبات شخصية وان حمد لهم تعليق الأخلاق على نتائج الأفعال دون بواعثها»[1].

فما يتضح لنا أن ديوي انتقد المذهب النفعي الذي يعتمد على التركيز على المصالح الشخصية والذاتية دون النظر إلى الأسس الأخلاقية ويرفض ربط الأخلاق بالنتائج المترتبة عن الفعل النافع دون احترام الأسس الأخلاقية .

كما أقام الفيلسوف« ***جوري بينتام J.bentham** (1748-1832م) نظرية للخير على أساس حسي تجريبي إذ يكفي برأيه أن نعود إلى التجربة لكي تتحقق من إن الشيء الواحد الذي يرغبه الناس جميعا إنما هو السعادة وان كل ما عداه من الأشياء إنما هو موضع رغبه بوصفه وسيلة لبلوغ تلك الغاية والإنسان عند بنتام أناني بالفطرة ويسعى دائما وراء منفعته الخاصة»[2].

ما نفهمه أن الفيلسوف بنتام يتحدث عن نظريته الفلسفية للخير والسعادة فالناس تسعى دائما إلى الحصول على السعادة وجل اهتماماتهم وكيف يحصلون عليها ويرى أن الإنسان بطبيعته أناني يسعى لإرضاء نفسي وان الاهتمام الشخصي والعامل الرئيسي الذي يحرك الإنسان في سعيه للسعادة.

«والمبدأ الأخلاقي يفضي بتحقيق اكبر سعادة ممكنه فالطبيعة البشرية بما فيها من ميول ورغبات هي التي توجه السلوك الأخلاقي... يقول:**"أن الطبيعة وضعت بني البشر تحت سيطرة مبدئين هم اللذة والألم"** وعلى الإنسان من الناحية الأخلاقية أن يكون واقعيا فيستعمل ذكائه بمهارة فائقة الحساب منفعتي قبل أن يقوم بأي عمل[3]».

هذه الفكرة على حد علمنا تركز على تحقيق اكبر قدر من ممكن من السعادة وتعتبر اللذة والألم احد المعايير للوصول لهته السعادة لكن دون التسبب في ضرر الآخرين وهنا نلمس نقطه ضعف في هذه الفكرة هو أنها ستهين بالأخلاقيات وهو ما ثار عليه **جون ديوي.**

كما نجد المذهب النفعي يسيء «فهم الموقف بطريقه أخرى فالنزعة ليست كافيه تماما في نظر النفعيين إذ هم يرغبون في تطابق رياضي بين العمل والنتيجة ولذلك فهم ستهينون بالعامل

---

[1] - شبل بدران ، وأحمد فاروق محفوظ ، المرجع السابق ، ص 290

* **جوري بنتام**: مشرع إنجليزي معروف، ولد في لندن عام 1748م، ابن لوكيل دعاوى ثري ، وتلقى من التعليم ما يؤهله لممارسة مهنة أبيه ، وكان يأمل من دراسته أن يكون محاميا ، لكن عيوب القانون وتطبيقه جعله يكرس حياته لإصلاحه، عاش بنتام طوال حياته مكبا كل الكباب على العمل المنتج راضي النفس مضحيا بكل لذائذه في سبيل أن يرفع مستوى الحياة الإنسانية، ومن أهم أعماله: وضع مشروع لسجن نموذجي سنة 1802 م، وإنشاء مجلة وستمنستر سنة 1824 م يدعو فيها إلى الإصلاح الدستوري، وكان يأمل إصلاح السياسة الإنجليزية، ودون مذكرات في المكافأة والمعاقبة وعلم الأخلاق. وهو زعيم القائلين بمذهب المنفعة الإنجليز في العصر الحديث، واستعمل لفظ النفعية ليدل على التوجه الأخلاقي لعقيدته. توفي بنتام أثناء فتنة قانون الإصلاح عام1832م، يوجد جثمانه المحنط في الكلية الجامعية التابعة لجامعة لندن . **أنظر: محمد مصطفى أحمد البيومي، فلسفة بنتام النفعية دراسة نقدية في ضوء الإسلام، كلية الآداب، جامعة طنطا، مصر،مجلة علمية ربع سنوية محكمة، العدد27، ج1، 2014، ص 326-327.**

[2] - زهية مناصري، الأخلاق عند جون ديوي، مذكرة ماجستير، تخصص فلسفة، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، الجزائر، 2006-2007 ،ص77

[3] - توفيق الطويل، فلسفه الأخلاق نشأتها وتطورها، دار الثقافة والتوزيع، القاهرة، ط4، 1995،ص 218.

الثابت الذي يمكن التحكم فيه وهو عامل الاستعداد ويتمسكون بأكثر الأشياء تعرضا للمصادفات التي لا تحصى وهي اللذة والألم[1]».

في النفعية لا يأخذون في الاعتبار العوامل التي تتحكم في الموقف سواء كانت ثابتة أو متغيره التي لا يمكن التحكم فيها كاللذة والألم وبالتالي فهم يسيئون تفسير الموقف ومن هنا يمكن اعتبار اللذة والألم كأساس وأعلى الأشياء للنفعيين فكره مغلوطة وغير منطقيه بعيده عن الواقع.

فما نستنتجه أن الأخلاق عند **جوري بنتام** مبنية على أساس اللذة والمنفعة التي تقوم على أساس المنفعة الخاصة على حساب المنفعة العامة.

ويثني **ديوي** على « انتباه المدرسة النفعية في الأخلاق إلى نتائج الأفعال غير أنه يعتقد أن المعيار الأخلاقي لا يمكن أن يتحد مع المشاعر التي تبعث اللذة ولذلك يرفض مذهب اللذة وعلاوة على ذلك لا يمكن الاستغناء عن الدوافع الشخصية والذات في السلوك لا يمكن تجاهلها فهي تخضع للتطور والتعديل»[2].

نفهم من هذا أن ديوي جعل من الأخلاق أداه لتحقيق النجاح في الحياة العملية ويظهر ذلك جليا من خلال تعريف الأخلاق كوسيلة وأداة عوضا عن تعريفها غاية في حد ذاتها مثل ما هو عليه في تاريخ الفلسفة.

كما يؤكد **جون ديوي** أن: «نظرية النفعيين الخاصة بتطابق الأفعال مع نتائجها هي خرافه نخدع بها أنفسنا مثلها في ذلك مثل افتراض عالم علوي ثابت تكون فيه العليا الأخلاقية خالدة وأبديه وكل من النظريتين تنكر في الواقع أن الوقت والتغير وثيقة الارتباط بالأخلاق حيث يمثل وقت جوهر صراع الخلقي»[3].

ما يتبين لنا أن النفعية حسب ديوي هي خطأ في التفكير فيما يتعلق بفهم الأخلاق والقيم فهي لا تراعي جوانب أخرى للإنسان كالعواطف والمشاعر بل تركز على أن الأخلاق حسابات حاسمة للمنفعة فقط مما يجعلها نظرتها ناقصة في فهم الأخلاق ، وفيما يخص نظرية تطابق الأفعال مع نتائجها خطأ في التفكير أيضا حسب ديوي فقد تكون الأفعال غير مطابقة للنتائج وتؤدي لنتائج غير متوقعة ومضرة وبالتالي فالنتائج الايجابية لا تتحكم فيها فقط الأفعال بل تتدخل فيها الظروف والبيئة الخارجية ومن هذا في الأخلاق ليست قواعد ثابتة بل متغيره.

وفي هذا يقول **جون ديوي**: « ثم يبدءون عملا لا غناء فيه وهو الحكم على الفعل منفصلا عن الشخصية على أساس النتائج ولا تنتقل إلى ميدان أخلاقي»[4].

[1] - جون ديوي، الطبيعة البشرية والسلوك الإنساني ، المصدر السابق، صفحه 74.
[2] - يوسف كرم، تاريخ الفلسفة الحديثة، دار العالم العربي، ط١، القاهرة، 2011 ،ص 522
[3] - جون ديوي ، الطبيعة البشرية والسلوك الإنساني، المصدر السابق ،ص74.
[4] - المصدر نفسه ، ص74.

نخلص في الأخير أن **جون ديوي** رفض موقف الأخلاقيين المثاليين والنفعيين فقد رفض رد المثل والمبادئ إلى سلطة خارجية، كما أنه يرى أن الأخلاق ليست من وضع الفلاسفة ولا هي وحي من السماء ولاهي وليدة اللذة والألم.

المبحث الثاني: الأخلاق الديوية

احتلت المشكلة الأخلاقية مكانة الصدارة في فلسفة **جون ديوي** اهتمت المدارس الفلسفية عبر الزمن بدراسة الظاهرة الأخلاقية ومحاولة تفسيرها ووضع ضوابط وأسس أخلاقية .لكن مع **جون ديوي** احتلت المشكلة الأخلاقية مكان الصدارة في فلسفته التربوية وكان هذا ما يميزها عن سالفيه وهذا ما سنحاول إبرازه في هذا المبحث.

المطلب الأول: طبيعة القيمة الأخلاقية

«الأخلاق أكثر الموضوعات إنسانيه وإحسانا ورحمه ،إنها أمس شيء بالطبيعة الإنسانية وأوثقها صله بها حيث أن الأخلاق تعني بالطبيعة الإنسانية بصفه مباشره فان كل شيء معرفه عن العقل الإنساني والجسم **الفيزيولوجي** والطب **الانتروبولوجي والسيكولوجي** من صميم البحث الأخلاقي»[1].

يتضح لنا من هذه الفكرة التي تشير إلى أن الأخلاق تعد من أكثر الموضوعات الإنسانية بالإضافة إلى أنها تمثل الإحساس بالعطف والرحمة والتعاطف مع الآخرين، وأنها جزء أساسي من الطبيعة الإنسانية، وهي مرتبطة بالطبيعة الإنسانية مباشرةً. ومن خلال دراسة الأخلاق يمكن فهم العقل الإنساني والجسم **الفسيولوجي** وعلم **الانتروبولوجي** والعلم النفسي. وبالتالي فإن الأخلاق تمثل جوابنا مهمة في دراسة الإنسان وطبيعته، والتي اهتم بها عدد من الفلاسفة والعلماء بما في ذلك **جون ديوي** .

إن القيم في الفلسفة **البراغماتية** وعند **ديوي** بوجه الخصوص« ليست ثابتة ولا نهائية لأنها مرتبطة على الوجود الاجتماعي غير المكتمل في هذه الحياة، لذلك لابد من نسبيتها وتفسيرها»[2].

[1] - كفاء صالح العسكري، المرجع السابق ، ص140

[2]- محمد محمود الخوالدة، فلسفات التربية التقليدية والحديثة المعاصرة، دار ميسرة للنشر والتوزيع ، دط، دب،الأردن، عمان، ص109.

نفهم من هذا أن القيم والبراجماتية عند **ديوي** خاصة تتغير وتتطور كل ما تطور المجتمع وتغير وتطورت ثقافته فهي نسبيه ولا يمكن اعتبارها ثابتة. وكل قيمه حسب ديوي تحتاج لتغييرها والتحليل فكل قيمه ترجع نسبيتها حسب السياق التي يتم فيه استخدامها وما يحدث في المجتمع من ظروف وبالتالي ففهمها بتغير المجتمعات .

والقيم ذات صفات واقعيه تساعد على النمو الإنساني الاجتماعي، وهي موضوعيه تخضع للطريقة العملية، وهي اختيارية بسبب الحرية والاختيار الإرادي، والقيم إنسانيه لأنها ترتبط بالإنسان دون غيره، وهي تقدميه لأنها قيمه عليا ، لأنها تعمل على توضيح الأفكار وأدوات للوصول إلى الحقائق، وهي عملية تعطى للعقل مكانة مركزية.

«يرجع **ديوي** القيم للصفات الإنسانية وأنها تحقق إنسانية الإنسان ما دامت تتركز على الإنسان نفسه وبالتالي فيمكن للفرد أن يطور ذاته وشخصيته، والوصول للنمو الايجابي في صوره الإنسان كما أن القيم في تطور وتحديث مستمر لتحقيق الأهداف المجتمعية والفردية ومنه في القيم جوهر إنساني تحقق النمو الكامل للمجتمع والإنسانية. وهي صفات موضوعية لتحقيق الأهداف المجتمعية، كما أن هذه القيم تتعرض للإرادة وحرية الاختيار من قبل الفرد فيستطيع الفرد أن يضع أهداف وقواعد خاصة به ، وما يخدم غاياته وأغراضه الشخصية.

والقيم متغيرة لأنها في حالة نبض دائم لأنها وسيلة لغاية تؤدي وظيفة أساسية تزيد من السلوك الواعي وتعرض التكيف بين الإنسان والبيئة[1]».

يتضح لنا أن القيم قابلة للتغير باستمرار نتيجة لتغيرات الثقافة والمجتمع، لذا تعتبر القيم حسب **ديوي** وسيلة لتحقيق الأهداف والغايات المراد الوصول إليها في المجتمع، وبالتالي هي أداة وسيلية حيوية لتعزيز التواصل والتفاهم بين أفراد المجتمع، وتحقيق الاستقرار والوئام بينهم، إلا أن القيم تختلف من مجتمع لأخر، وأنها تؤدي نفس العملية الأساسية في تحقيق الأهداف، وتعزيز التفاعل الايجابي بين الأفراد.

وهو يؤمن بأن «المصدر الأساسي للقيم الأخلاقية هي الخبرة، والتجربة فالغرض عنده يكتسب قيمه الأخلاقية، وضميره الأخلاقي عن طريق خبرته وتفاعله مع البيئة المحيطة به، ويتصل بهذا المعتقد معتقد أخر قريب منه، وهو إيمانه بأن القيم الأخلاقية والأخلاقيات هي أخلاق اجتماعية لا تنبع من الذات أو الضمير أو العقل، ولكنها تكتسب نتيجة لتفاعل الفرد وأعماله بأنها أخلاقيه إذ ما ساعدت على النمو الكامل للفرد وعلى النهوض بالمجتمع وحل مشاكله وعلى تحقيق المصلحة العامة[2]».

نفهم من هذا أن **ديوي** ركز على المجتمع بدلا من الأفراد المنعزلين باعتباره الكيان الذي يحقق الأخلاق وأن الأخلاق هي أخلاق اجتماعية وتتكون بالرجوع للتفاعل الفرد وأعماله وأخلاقه إذا ما ساعدت على حل مشاكل المجتمع وتحقيق المصلحة العامة لا الشخصية وهو يربط القيم

[1] - محمد محمود الخوالدة، المرجع السابق، ص 110

[2] - عمر محمد التومي الشيباني، المرجع السابق ، ص345

الأخلاقية بالخبرة والتجربة والتفاعل مع البيئة المحيطة وليس بسبب وجود قواعد أخلاقيه يفرضها العقل والضمير.

وتنقسم الأخلاق إلى أخلاق موضوعية وذاتية:

أ- **الأخلاق الموضوعية:**

إذا رجعنا للمشكلة القديمة الخاصة بموضوعيه أو ذاتية الأخلاق فيجب أن نعرج لموقف **ديوي** منها فنقول: «أن الأخلاق موضوعية لأن الإرادة كما أوضحنا هي من الناحية العملية العادات، والعادات تضم بيئة من البيئات، والبيئة في نفس الوقت هي متعددة وليست منفردة، وعلى هذا فالإرادة والاستعداد متعدد كذلك، والحياة مثلا تشتمل على عادة الأكل التي تشتمل بدورها على توحيد الكائن الحي مع الطبيعة، ورغم ذلك تدخل هذه العادة في صراع مع غيرها من العادات التي تكون موضوعية أيضا، أو التي تكون في حالة اتزان مع بيئاتها ولان البيئة متعددة فإن الفرد ينقسم داخليا على نفسه، فالشرف واحترام الآخرين والتأدب أمورا تتعارض مع الجوع، وهكذا يهتز الاتجاه الخاص بالموضوعية المطلقة للأخلاق[1]».

نفهم من هذا أن الأخلاق في نظر **ديوي** تعتمد على العادات التي تتداخل مع بيئة الفرد، والتي يمكن أن تتبدل مع اصطدامها مع غيرها من العادات، كما أن تعدد البيئات تجعل الأخلاق متعددة، ولا نستطيع أن نضعها في قالب واحد، لذا يجب مواكبه المبادئ الأخلاقية للتطور والتغير الحاصل فنصل لأخلاق تتحدد من خلال الاستجابة لتعدد الظروف الحياتية في المجتمع.

يضيف **ديوي** أن:«الذين يودون الاحتفاظ بهذه الفكرة الموضوعية الكاملة يسلكون الطريق المؤدية إلى العالم العلوي، لأن العالم المادي منقسم في الحقيقة، وعلى هذا فكل أخلاق طبيعية يجب أن تكون منقسمة على نفسها، وهذا التعارض مع ذلك يشير إلى وجود عالم علوي ثابت تختفي به الأخلاق العلوية الحقيقية، وهكذا تصان الموضوعية على حساب ارتباطها بالأفعال الإنسانية[2]».

ما يتضح لنا أن الموضوعية حسب ديوي تلامس العالم الذي يتكون من أشياء موجودة بشكل مادي وملموس، وعلى الذين يهتمون بهذه الفكرة أن يحاولوا التعايش مع واقعيه هذا العالم المنقسم، والذي يتكون من النسبية والتغيرات تختفي فيه الأخلاق الحقيقية.

ب- **الأخلاق الذاتية:**

«الأخلاق الذاتية تحل محل الذات التي تعارض للظروف المادية، وتكون مثلها العليا مستقلة في هذه الظروف المادية ...فالذات أو الشخص يحمل في عاداته خيرا تنكره البيئة الموجودة، لأن هذه الذات تتحرك مؤقتا في انعزال هذه الظروف المادية، بين خير تام وقد تم تكوينه، وخير ترجو أن تعيد تكوينه من جديد، وهكذا نظرت النظريات الذاتية إلى الذات على أنها تائهة تتجول بلا أمل من بين جنة مفقودة في ماض معتم وجنة مبتغاة في مستقبل معتم أيضا[3]».

---

[1] - جون ديوي، الطبيعة البشرية والسلوك الإنساني ، المصدر السابق ، ص75

[2] - المصدر نفسه ، ص76

[3] - المصدر نفسه ، ص77

ما نفهمه من هذا المقصود انه لا يجب على الفرد الالتصاق بمجموعة من القيم والمبادئ الخارجية، بل يتبنى قيمه الخاصة المختلفة عن المجتمع الذي فيه، وهذا يعني أن الأخلاق الذاتية قوية جدا، فلها القدرة على التعامل مع التغيرات المفاجئة والظروف الطارئة، وبالتالي فهي غير مقيدة بضوابط وتقاليد وعادات اجتماعية خارجية، وبالتالي فالفرد مسؤول في تحديد قيمه وأفعاله.

«الأخلاق الذاتية على العموم تقيم ذاتاً منعزلة دون روابط موضوعية ، والحقيقة أنه يوجد مزيج تتناوب فيه كل من الفضيلة والرذيلة، دورها والنظريات ترسم عالما يكون فيه الإله في السماء والشيطان في جهنم. وبالاختصار أخفق رجال الأخلاق في أن يتذكروا أن فصل الرغبة الأخلاقية، والغرض عن الواقع المباشر... وهذا الإخفاق سببه الإخفاق في إدراك العادات القديمة، في هذا العالم المتغير تحتاج إلى تغير مهما كان خيرها في الماضي... ومن الواضح أن مثل هذا التغير لا يكون إلا تجريبيا[1]».

«إلى سلطة فوق متناول التجربة والخبرة يجعل الأخلاق مثالية متعالية بعيدة عن الواقع، كما القول بالأخلاق ذاتية قيم شخصية وذات منعزلة دون سند موضوعي ويجعلها رهينة رغبات الإنسان[2]».

ما يتضح لنا أن **ديوي** يهاجم الذين يضعون فاصلا بين الجانب الذاتي والجانب الموضوعي ويدعو لتوحيدهما، بحيث تزول معهما لكل ضروب الدوغمائية dogmatique .وأن الاحتكام إلى سلطة فوق متناول التجربة والخبرة، يجعل الأخلاق مثالية متعالية بعيدة عن الواقع، كما القول بالأخلاق ذاتية قيم شخصية وذات منعزلة دون سند موضوعي ويجعلها رهينة رغبات الإنسان.

نخلص لنتيجة مفادها أن القيم الأخلاقية هي ذاتية وموضوعية في الوقت نفسه، فذاتية القيم الأخلاقية يلغيها فيصبح وجودها مجرد وهم زائف والقول بموضعية القيم والقيم الأخلاقية يفصل بيننا وبينها ويجعلها منعزلة عنا.

المطلب الثاني: الأخلاق الاجتماعية

إن الإنسان لا يعيش في عزلة عن الآخر بوصفه كائن اجتماعي بتعهده المجتمع بالتربية والتثقيف وتعديل سلوكه، هذا ما يبلور علاقة بين الأخلاق والمجتمع وهو ما نلمسه في هذا المطلب.

فإذا شئنا أن نحسن الأخلاق فعلينا أن نعدل النظم الاجتماعية، ويقول **ديوي:**«إذا كانت موازين الأخلاق منحطة فذلك ناشئ من نقص التربية التي يتلقاها الفرد في تفاعله مع بيئته الاجتماعية[3]».

في هذا النص يتم التأكيد على أن الأخلاق هي جزء من الطبيعة الإنسانية، وأن دراسة الأخلاق تساعد على فهم الإنسان وطبيعته بشكل عميق. بالإضافة إلى ذلك، يتم التأكيد على أهمية

[1] - جون ديوي: الطبيعة البشرية والسلوك الإنساني ، المصدر نفسه ، ص78
[2] - المصدر نفسه ، ص78
[3] - كفاء صالح العسكري ، المرجع السابق، ص 140

الأخلاق في تحسين المجتمعات وتنظيمها، إذا كانت الموازين الأخلاقية للفرد أو المجتمع منحطة ، فهذا ينبع من نقص التربية التي يتلقاها الفرد في بيئته الاجتماعية. لذلك يجب تحسين التربية والنظم الاجتماعية لإحداث تغيير إيجابي في الأخلاق. هذا ما أكده الفيلسوف **جون ديوي** والغزالي. في النهاية، يمكننا القول بأن الأخلاق تمثل قيمة أساسية في حياة الإنسان وفي التطور الاجتماعي والثقافي.

وفي اعتقاد **ديوي** «أن الأخلاق ظاهرة اجتماعية "و بأنها من باب الواقع لا من باب ما ينبغي أن يكون رد صريح على الأخلاقيات القديمة، التي تقوم على الهروب من عالم الواقع إلى عالم المثال وعالم الزهد أو على أساس الانغماس في اللذات والمبالغة الواقعية والمادية[1]».

نفهم أن الأخلاق هي التي تسيطر ،وتسمح بأن يكون الحكم الأخلاقي مناسب في مجتمع معين، على الرغم من انه سوف يتوقف على أن تكون مناسبا بعد تقدم المجتمع وتطوره .

ويضيف **ديوي** «إن دراستنا للسلوك لا تقف بنا عند الإجابة عن سؤالنا: كيف يتم السلوك؟

بل لابد لها أن تشتمل أيضا الإجابة عن سؤال آخر هو: ما هو السلوك؟ كما أن هناك شيء قد فعل هناك أيضا الطريقة التي أنجز بها هذا الفعل، هناك أهداف، ثمرات، نتائج، كما أن هناك طرقا ووسائل وعمليات، فإذا ما نظرنا الآن إلى السلوك من وجهه النظر هذه فان ذلك معناه أن ننظر إليه من وجهة النظر الاجتماعية، أي من المكان الذي يشغله وليس ببساطه من ناحية علاقته بالشخص الذي يفعله[2]».

وإذا نظرنا إلى السلوك من هذه الزاوية ، فإن هذا يعني أن يتم فحصه من زاوية المجتمع الذي ينتمي إليه الفرد المتصرف، وليس فقط من خلال النظر إلى الشخص كفرد بمفرده.

ويساعد هذا المفهوم على تفسير السلوك بطريقة أكثر شمولًا، وفي الوقت نفسه يسمح بالنظر إلى التحديات والتوترات الاجتماعية التي تواجه الأفراد وتؤثر على سلوكهم. وبالتالي، فإن فهم السلوك من منظور اجتماعي يمكن أن يساعد على إيجاد حلول للمشكلات الاجتماعية المعقدة التي يوجد بها الفرد.

المطلب الثالث: الأخلاق المدرسية

بما أن الأخلاق تنبت في الفرد من خلال تفاعله مع المجتمع الذي يعيش فيه، وبما أن المدرسة تعتبر مكانا يتعلم فيه الفرد، مهارات الحياة فمن الضروري أن تقوم المدرسة بدور نشيط في تنمية الأخلاق لدى الفرد، وهذا ما حاول **جون ديوي** تطبيقه .وما سنتطرق إليه في هذا المطلب.

«لم يفصل ديوي بين الفكر والحياة بل انتهى إلى القول بأن الحضارة ليست إلا وليدة الفلسفة وأن الفلسفة بدورها من نتائج الحضارة وليس ثمة فارق حاسم بين الفلسفة ودورها في تاريخ

[1] - عمر محمد التومي الشيباني، مرجع سابق، ص376

[2] - جون ديوي ، المبادئ الأخلاقية في التربية ،المصدر السابق ،ص22

الحضارة... وظيفة الفلسفة أن تنشئ نماذج يجري على نمطها التفكير ويسير بمقتضاها السلوك وبها تتقدم الحضارة [1]».

ما نلمسه حسب تحليلنا لفكرة **ديوي** أن الفلسفة يجب أن تكون عملية لها صلة بالحياة الواقعية، لكي لا يجد الناس أنفسهم عالقين في حالة من العزلة والفكر المجرد، وبالتالي فدور الفلسفة التطبيق عمليا وحل المشكلات التي تواجه الناس في الحياة، وتعديل السلوك وهنا يتحقق التطور وتبنى الحضارة.

«أهم ما في مسألة التربية الخلقية في المدارس هو العلاقة بين المعرفة والسلوك، لأنه إذا لم يكن التعليم في المدة الدراسية النظامية يؤثر في الأخلاق، فمن العبث أن يحسب أن الغاية الأدبية المتحصلة غاية التربية الرئيسية الموحدة[2]».

فالأخلاق عند **ديوي** تكون بمعرفة الآثار التي تترتب على سلوكاتنا بمعرفة مدى صحة المبدأ الخلقي في حل المشاكل القائمة والمساهمة في النمو وهذا هو معيار الحقائق ومقياس القيم جميعا.

«كلما ازدادت الجماعات تعقدا وتنوعا في تركيبها ازدادت الحاجة للتعليم والتعلم والتربية التي يقصدها **ديوي** هي المنظمة العلمية وهي الأكثر ضرورة بعد التقدم الهائل الذي شهدته الإنسانية في العصر الحاضر، فالبيئة الاجتماعية هي مجال تحقيق التربية الصحيحة والطفل يتعلم من البيئة الاجتماعية ثلاث أمور أساسيه وهي اللغة وأساليب الكلام وآداب السلوك وموازين الأخلاق[3]».

فيجب حسب **ديوي** أن نختار البيئة المثمرة للطفل وهذه البيئة المثمرة هي المدرسة التي تعد الطفل لفهم الحياة المعقدة التي يعيش فيها فتبرز محاسنها ومساوئها.

«فالحديث عن التربية من جهة تأثيرها في المجتمع ومستقبل الحضارات، لابد للتعرض للمدرسة بوصفها بيئة الطفل خاصة، فيتلقى ما يريد منه المجتمع على ما ينبغي أن يكون عليه في المستقبل[4]».

التربية هي عملية يتعلم فيها الإنسان المعرفة والمهارات والقيم التي يحتاجها لتطوره الشخصي وتأدية دوره في المجتمع. ولا يمكننا مناقشة أهمية التربية دون الحديث عن المدرسة، فهي بيئة الطفل الرئيسية التي يتعلم فيها ويتفاعل مع معارف المجتمع، يجب عليه أن يتعلم المعارف والمهارات اللازمة لهذا الغرض. وهذا يتطلب بالضرورة تحديد أولويات التعليم الأساسية التي يجب تسليط الضوء عليها عند تصميم البرامج التعليمية.

[1] - توفيق الطويل، المرجع السابق، ص299.
[2] - يوسف كرم ، المرجع السابق، ص 41.
[3] - احمد فؤاد الأهواني ،المرجع السابق، ص 44.
[4] - احمد فؤاد الأهواني ،المرجع السابق، ص 44.

وتعتبر القيم الأخلاقية والاجتماعية والثقافية والتكنولوجية من العوامل الحيوية التي يجب أخذها بعين الاعتبار عند تصميم البرامج التعليمية، حتى يتمكن الطفل من تحديد مسار حياته وتحقيق تطلعاته المهنية والشخصية.

كما يضيف انه «لن يكون في وسعنا أن نقبل قضايا سوريه عن الهدف الأخلاقي في التربية وكل ما تمدنا به هذه القضايا، إنما هو مقولة جدباء من الكلمات العقلية فيجب إنزال المثل الأخلاقية إلى الأرض وتفسيرها بواقع أعمال التلاميذ في المدرسة[1]».

ويقصد ديوي أن الأخلاق تربوية يجب أن تكون تطبيقية على أرض الواقع، لها صله بواقع التلميذ، كما يرد على التيارات الميتافيزيقية التي جعلت الأخلاق مجرد نظرية لا تروض لحياة الإنسان ولا تحل مشاكله.

«ومن الواجب أن نفسر الهدف الأخلاقي الذي يحدد عمل المدرسة على أوسع نطاق ...فواجبنا يقتضي أن نأخذ الطفل على أنه عضو في مجتمع، وأن نطالب بكل ما هو ضروري لمساعدة الطفل ...وتنشئة وتهذيب الأطفال، وهكذا تراه يؤكد بقاء المجتمع واستمراره، لأن عليه أن يصبح عاملا وأن يلتحق بوظيفة ما يفيد منها المجتمع، وظيفة تؤكد له استقلاله الخاص واحترامه لذاته وأن يساهم في قيم الحياة [2]».

يتضح لنا أن فكرة ديوي هي أن المدرسة ليست مجرد مكان يتم فيه نقل المعرفة والمعلومات إلى الأطفال، ولكن تمثل مجتمعا صغيرا يتعلم فيه الأطفال ويتفاعلون مع بعضهم البعض، ومع العلم فكرته تعتمد على ضرورة تحويل المدرسة إلى بيئة تعليمية، وبالنسبة للهدف الأخلاقي الذي يحدد عمل المدرسة فهو يركز على أن الطفل ليس مجرد فرد في المجتمع إنما عضوا فعالا.

[1] - جون ديوي، المبادئ الأخلاقية في التربيه، تر:عبد الفتاح السيد هلال، الدار المصرية للتأليف والترجمة،ص17.

[2] - جون ديوي، المبادئ الأخلاقية ،المصدر السابق ، ص26

المبحث الثالث: أهم الانتقادات والامتدادات لفلسفة جون ديوي التربوية وتوجهها الأخلاقي

المطلب الأول: أهم الانتقادات الموجهة لفلسفة جون ديوي التربوية وتوجهها الأخلاقي

1- نقد ألاسدير ماكنتاير Alasdair MacIntyre لفلسفة جون ديوي الأخلاقية:

كان هناك العديد من الفلاسفة الذين انتقدوا نظرية **جون ديوي** الأخلاقية، لكن أحد النقاد البارزين كان **ألاسدير ماكنتاير**. كتب الفيلسوف الاسكتلندي كتابًا بعنوان: **"بعد الفضيلة"** في عام 1981م، حيث قدم نقدًا لنظرية **ديوي** الأخلاقية والتقاليد الأوسع للفلسفة الأخلاقية الحديثة.

جادل **ماكنتاير** بأن نظرية **ديوي** الأخلاقية، مثل النظريات الأخلاقية الحديثة الأخرى، عانت من عدم وجود إطار متماسك وفهم غائي لازدهار الإنسان، فنجد مثلا «أن **ديوي** لما يصف طبيعة السلوك البشري يصفه بشكل عام، بينما يصدر الوصف عن **ماكانتير** فإنه يصف أنشطة منظمة معينة يشارك فيها الأشخاص داخل المجتمعات - الممارسات الراسخة اجتماعياً مثل كرة القدم أو الهندسة المعمارية أو الزراعة»[1].

وانتقد **ماكنتاير** اعتماد **ديوي** على البراغماتية والعواقبية، باعتبار أن فلسفة **ديوي** ليست إلا استمرار لفلسفة **نيتشه** الذي طالما حارب المفاهيم الزائفة، ولكنه في نفس الوقت نجد أن فلسفته أنتجت مفاهيم زائفة هي الأخرى[2]، وذلك ما سمح له بأن يدعي أنهم فشلوا في توفير أساس قوي للأخلاق. دعا **ماكنتاير** إلى العودة إلى النهج الذي يركز على الفضيلة في الأخلاق، بالاعتماد على التقاليد الأرسطية والتومستية، التي كان يعتقد أنها تقدم فهمًا أكثر شمولاً وذات مغزى للأخلاق.

تجدر الإشارة إلى أنه على الرغم من أهمية نقد **ماكنتاير**، إلا أن نظرية **ديوي** الأخلاقية قد حظيت أيضًا بالثناء والدعم من العديد من الفلاسفة والعلماء الآخرين.

2- جورج أوجستين نيكولاس رويز دي سانتايانا:

كان **خورخي أغوستين نيكولاس رويز دي سانتايانا**، المعروف باسم **جورج سانتايانا**، فيلسوفًا وكاتبًا وروائيًا إسبانيً الأصل أمريكي اللفكر والثقافة، حتى إنه يصنف فيلسوفا أمريكيا. بينما كان **سانتايانا** معاصرًا لجون ديوي وكان كلاهما من الشخصيات المؤثرة في الفلسفة الأمريكية، لا يوجد سجل واضح **لسانتايانا** يقدم نقدًا مباشرًا لفلسفة **ديوي** الأخلاقية.

---

[1] - Stephen Carden, Virtue Ethics: Dewey and MacIntyre, Bloomsbury, 2006, P 144

[2] - ألاسدير ماكنتاير: بعد الفضيلة، بحث في النظرية الأخلاقية ، تر: حيدر حاج اسماعيل ، توزيع مركز دراسات الوحدة العربية ، بيت النهضة ، بيروت ، لبنان ،ط3، 2013، ص 500.

كتب **دي سانتيانا** مقالا بعنوان **"طبيعانية ديوي" "Dewey's Naturalistic"** نشرها بتاريخ 25 ديسمبر 1925، في العدد 22 من مجلة الفلسفة[1]، بالإضافة إلى أنه أنجز مراجعة لكتاب **"الخبرة والطبيعة"** لصالح نفس المجلة، تضمن هذان العملان أهم انتقادات **دي سانتيانا** لفلسفة **جون ديوي.**

ونرى أنه «في مراجعته لكتاب **"الخبرة والطبيعة"**، يصف **ديوي** بأنه لديه ميلا شبه **هيغيلي** نحو إذابة الفرد في وظائفه الاجتماعية كما لاحظ مدى التوتر في نظرة **ديوي** الطبيعانية والتصور الميتافيزيقي للحوادث حيث دمج العقل والطبيعة معا بطريقة ما»[2].

وفي مكان آخر يصنف **دي سانتيانا ديوي** على أنه «مثالي شأنه شأن **إمرسون وشيلينغ وهيغل**، وأن هؤلاء عبارة عن مثاليين، يأخذون بالمتعالي، ويتلقون بورع الإلهام المهيمن على الحياة الأخلاقية في زمنهم وبلدهم ويعدونه المطلق»[3].

على الرغم من أن **سانتايانا** قدم انتقادات محددة لفلسفة **ديوي** الأخلاقية، إلا أن اختلافاتهم الفلسفية لا تشير إلى أن لديهم وجهات نظر متباينة بشكل جذري حول طبيعة الأخلاق والنظرية الأخلاقية. من المحتمل أن آراء **سانتايانا** بشأن هذه الأمور قد تتعارض بشكل غير مباشر مع نهج **ديوي**، فلطالما كان **سانتيانا** شبه براغماتي إن لم يكن براغماتي بالفعل.

المطلب الثاني : امتدادات فلسفة جون ديوي التربوية وتوجهها الأخلاقي

1- تأثر سيدني هوك بفلسفة ديوي الأخلاقية:

يعتبر أيضا الفيلسوف الأمريكي **سيدني هوك-Sidney Hook** المعروف بإسهاماته في البراغماتية امتدادا لفلسفة **جون ديوي** وانخراطه في مختلف القضايا الفلسفية والسياسية. إذ كان **لسيدني هوك** علاقة معقدة ومتطورة مع **جون ديوي**، الذي كان آنذاك أحد أكثر الفلاسفة الأمريكيين تأثيرًا وشخصية بارزة في التقاليد البراغماتية في البداية؛ بحيث نجد **هوك** في البداية قد تأثر بشدة بفلسفة **ديوي** واعتبر نفسه تلميذًا مخلصًا. درس تحت إشرافه في جامعة كولومبيا وانخرط بنشاط في الترويج لأفكار ديوي التعليمية والاجتماعية. ولكنه في الأخير انتقد **ديوي** بشدة خاصة فيما تعلق بالاشتراكية.

لقد تميزت فلسفته الأخلاقية بالتزامه بالنهج الطبيعي، ودفاعه عن حرية الإنسان وكرامته، وتأكيده على العقل والتحقيق. ولذلك يمكن أن تصنف أراء **هوك** الأخلاقية على إنها تندرج ضمن ما يمكن تسميته بالأخلاق الطبيعية، إذ طالما دعا إلى فهم طبيعي للأخلاق، مما يعني أن المبادئ والقيم الأخلاقية يجب أن ترتكز على ملاحظة وفهم دقيقين للطبيعة البشرية وعلم النفس والعالم

[1] - George Santayana, Dewey's Naturalistic Metaphysics, The Journal of Philosophy, Volume 22, Issue 25, December 1925, P 673-688.

[2] - شيريل ميساك، البراغماتيون الامريكيون، تر: جمال شرف، ط1، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، الدوحة، 2000، ص 275.

[3] - المرجع نفسه ، ص275

الطبيعي. وقد عرف عنه رفضه لفكرة الحقائق الأخلاقية المتعالية أو المطلقة وشدد على أهمية البحث التجريبي في التفكير الأخلاقي[1].

النقطة الثانية التي دعا إليها **هووك** هي التعددية الأخلاقية، إذ أدرك وجود وجهات نظر أخلاقية متنوعة وأكد على قيمة التعددية في الخطاب الأخلاقي. **"لقد كان يعتقد أنه يمكن تحقيق التقدم الأخلاقي من خلال الحوار المفتوح والمناقشة العقلانية بين مختلف الأطراف"**[2]، مما يسمح بتبادل الأفكار وحل النزاعات على أساس العقل بدلاً من العقيدة.

ركز **هوك** بشدة على أهمية حرية الإنسان وكرامته في فلسفته الأخلاقية. جادل بأن الأفراد يمتلكون قيمة متأصلة ويجب معاملتهم كوكلاء مستقلين قادرين على اتخاذ قراراتهم الأخلاقية الخاصة. كما دافع عن أهمية الحقوق الفردية، بما في ذلك حرية الفكر والكلام والعمل.

في كل ما ذكرنا نجد أن **هوك** قد استلهم أفكاره الأخلاقية من البراغماتية، وخاصة أعمال **جون ديوي**. **ولذلك كان غالبا ما كان يشدد على النتائج العملية للمبادئ الأخلاقية والقيمة الآلية للأحكام الأخلاقية"**[3]. كان يعتقد أنه يجب تقييم المبادئ الأخلاقية بناءً على قدرتها على تعزيز الازدهار البشري والوئام الاجتماعي وإدراك الإمكانات البشرية.

المشاركة الاجتماعية والسياسية شارك **هوك** بنشاط في القضايا السياسية والاجتماعية وكان يعتقد أن الفلاسفة يتحملون مسؤولية الانخراط مع العالم والمساهمة في المناقشات العامة.

دافع عن إطار ديمقراطي وليبرالي باعتباره أفضل وسيلة لحماية الحقوق الفردية وتعزيز التقدم الاجتماعي.

من المهم ملاحظة أن فلسفة **سيدني هوك** الأخلاقية شملت مجموعة واسعة من الموضوعات وتطورت بمرور الوقت. كما كان لانخراطه مع الماركسية ورفضه اللاحق لها تأثير على تفكيره الأخلاقي. سيوفر فحص كتاباته وأعماله المختلفة فهمًا أكثر شمولاً لفلسفته الأخلاقية.

كان **سيدني هوك** مهتمًا في المقام الأول بالموضوع الأخلاقي للحرية الفردية وعلاقته بالمسؤولية الأخلاقية. طوال حياته المهنية، وفي هذا السياق أسس مجلة **كونجرس الحرية الثقافية- Congress For Cultuaal Freedom"**[4].

أكد **هوك** دائما على أهمية الاستقلالية الفردية والعقلانية والمسؤولية الشخصية في اتخاذ القرارات الأخلاقية.

رغم كل الاختلافات التي وقعت في الأخر بين **هوك وديوي** إلا انه بقي في نفس النهج مع **جون ديوي** ويرتكزون على نفس الأسس ويتجهون إلى نفس الأهداف، وظلت براغماتية **ديوي** بمثابة المرجعية لدى **سيدني هوك**.

2- تأثر ريتشارد رورتي بفلسفة جون ديوي الاخلاقية:

[1] - موسوعة ستانفورد للفلسفة: https://plato.stanford.edu/entries/sidney-hook

[2] - منصور المحمداوي: أفكار معاصرة، دار الفكرة، بيروت ، ط1، 1999، ص 179.

[3]- شيريل ميساك، المرجع السابق ، ص 286.

[4] - مجلة الهلال، جرجي زيدان، مجلة ثقافية شهرية عربية ، دار الهلال، العدد 71،مصر، الجزء 1، ص 189.

إن **ريتشارد رورتي** فيلسوف أمريكي ما بعد حداثي اختار البراغماتية نهجا له وتأثر بأعلامها الكبار، إلا أن يعتبر نفسه اقرب إلى فلسفة وليام جيمس وإلى فلسفة جون ديوي بشكل كبير[1]، معتبرا نفسه تلميذه. لقد كانت العلاقة بين **رورتي وديوي** علاقة جد متميزة لدرجة كان **رورتي** كان "يفتخر ويفاخر بأنه احد أهم تلامذته"[2].

اعتمد **رورتي** بشكل كبير على فلسفة **ديوي** البراغماتية، تأثر بها ووسع العديد من جوانبها، بما في ذلك تأكيده على الطبيعة العملية والتجريبية للمعرفة، وأهمية القيم الديمقراطية، ورفض النهج المطلق أو التأسيسي للحقيقة والأخلاق.

لقد كان هناك تناغم كبير بين فلسفة **رورتي** وفلسفة **جون ديوي** لدرجة اعتبرت فيها أراء **رورتي** استمرار وإعادة تفسير لأفكار **ديوي**، إذ تشمل مساهمات **رورتي** الرئيسية تطويره لما عرف بالنيوبراغماتية، وتأكيده على الممارسات اللغوية والثقافية، وانتقاده للمفهوم التقليدي للحقيقة. وفي هذا الوقت الذي كان **رورتي** يبنى براغماتيته على براغماتية **ديوي**، فإنه لا يعني عدم الابتعاد في نفس الوقت عن بعض أفكار **ديوي** في بعض النواحي وطور وجهات نظره الفريدة ضمن التقاليد البراغماتية الأوسع.

أراء رورتي الأخلاقية:

لا يمكننا الخوض في تصور **رورتي** للأخلاق دون الخوض في موقفه من نظرية المعرفة، وبما أن ريتشارد **رورتي** من فلاسفة ما بعد الحداثة، فانه ينكر وجود حقيقة بالإطلاق وكل معرفة لدى الإنسان فهي في نظره ليست أكثر من تأويل. نعم لقد رفض **رورتي** الحقيقة والعلم والدين والفلسفة مدعيا "أن العقل لا يعكس الطبيعة أو يمثلها، وبالتالي لا يمكن تأسيس الحقيقة وبدلا من ذلك كل ما يمكننا فعله هو استخدام اللغة لوصف ما هو موجود"[3] في الواقع.

وهنا نلاحظ أن **رورتي** "يتفق مع تراثه البراغماتي وخاصة مع **ديوي** الذي يقر بأنه ليس هناك مشكلات أبديه للفلسفة، وان الفلاسفة ليست لديهم معرفة خاصة ولا هم صفوة الحكماء؛ ولذا دعا إلى تحول دور الفلسفة الفكر المعاصر»[4].

تتناثر أفكار **ريتشارد رورتي** الأخلاقية بشكل أساسي في أعماله الفلسفية المؤثرة التي تناقش نظريته في المعرفة ومن بين مؤلفاته المهمة في هذا الصدد كتابه: **"الفلسفة ومرآة الطبيعة"** الذي ألفه سنة (1979) حيث ركز فيه بشكل أوسع على فلسفة اللغة والعقل، فكان بذلك بمثابة الأساس لأعمال **رورتي** اللاحقة وقدم بعضًا من أفكاره الرئيسية حول المعرفة ورفضها، وبذلك مهد الطريق لوضع لإرساء أرائه الأخلاقية لاحقا.

وأما في مؤلفه الذي عنونه بـ**"الطوارئ والسخرية والتضامن"** (1989) فيعتبر هذا الكتاب أحد أهم أعمال **رورتي** التي تتضمن مناقشاته الصريحة حول وجهات النظر الأخلاقية. يستعرض

---

[1]- يعلي الحفناوي، استقبال النظريات النقدية في الخطاب العربي المعاصر، دار اليازوري العلمية للنشر، 2020، ص172.

[2]- محمد جديدي، الحداثة وما بعد الحداثة في فلسفة ريتشارد رورتي اطروحة دكتوراه، جامعة منتوري قسنطينة، 2006، ص د من المقدمة.

[3]- مصعب قاسم العزابي، تر: مجموعة مترجمين ، دار الاكاديمية،، ط1، لندن، 2021، ص 146.

[4]- عطيات أبو السعود، الحصاد الفلسفي في القرن العشرين، مؤسسة هنداوي، دط، مصر، 2021 ، ص 145.

فيه **رورتي** احتمالية القيم الأخلاقية ويؤكد رفضه الحقائق الأخلاقية الموضوعية. ويدافع عن نهج ليبرالي وعملي وقائم على المحادثة للأخلاق، مؤكداً على أهمية التضامن وخلق مجتمع عادل. كما اتبع هذا الكتاب بمؤلفات أخرى في الأخلاق كان أهمها كتاب" أخلاقيات اليوم: إيجاد أرضية مشتركة بين الفلسفة والدين»[1].

ولما لقد كان اهتمامه منصبا على قضايا السياسة والمجتمع بشدة، وخاض في الصراع الفكري الذي كان محتدما آنذاك بين كل من الليبيراليين والجماعاويين (الاجتماعيين)، حيث تزعم الليبيراليين Ronald dworkin وWill Kimllika وتزعم الجماعاويين Michael Sandel وMichael Walzer، حيث كان الليبيراليين يتصورون ان الدولة وظيفتها إتاحة الفرص بشكل متساوي أمام الجميع وضمان الحرية، في حين كان الجماعاويين يرون انه يقع على عاتق الدولة مسؤوليات أخلاقية، وهنا انحاز إلى طرح الليبيرالين، ودعمه بنظرة جديدة.

ناتجة عن "تأويله نظرية ديوي، معتبرا اياها نظرية في الديموقراطية وفي زمن ما بعد الحداثة، تهدف الى قيام مجتمعات تعددية،... وهذا التوجه في النظر الى الديمقراطية باعتبارها سعيا الى اخذ القرارات والتوصل الى التوافق، يقوم مقام كل عقيدة جامعة او تأسيس فلسفي"[2].

يعتبر مفهوم السخرية "**Ironism**" أحد أهم المفاهيم الفلسفية التي لها ارتباط وثيق بالأخلاق، كما تصورها **رورتي**، هي موقف فلسفي يتحدى فكرة الحقائق العالمية والموضوعية أو الأسس الأخلاقية. جادل **رورتي** بأنه لا توجد مبادئ متأصلة أو متجاوزة تملي ما هو صحيح أو خطأ من الناحية الأخلاقية. وبدلاً من ذلك، شدد على أهمية القيم والمعتقدات العرضية التي تعتمد على السياق والتي تشكلت بواسطة العوامل التاريخية والثقافية[3]. وهنا نلاحظ أن مفهوم السخرية لم يخرج عن السياق الذي رسمه ديوي في التأسيس لنسبية الأخلاق وتعدديتها.

النتيجة الأساسية التي نصل إليها هي أن المدرسة نفسها يجب أن تكون معهدا اجتماعيا حيويا إلى أقصى درجة مما هي عليه الآن في المدرسة لا يمكن أن تكون إعداد في الحياة الاجتماعية إلا إذا قدمت من داخل نفسها ظروف مماثله تماما للحياة الاجتماعية.

[1] - العنوان الأصلي لكتاب باللغة الانجليزية هو:
An Ethics for Today: Finding Common Ground Between Philosophy and Religion
[2] - نعيمة شومان، المجتمع والدولة، دار الفرابي، ط1، بيروت ، 2011 ، ص 46.
[3] - كريستوفر باتلر، ما بعد الحداثة، تر: نيڤين عبد الرؤوف، مؤسسة هنداوي، دط، مصر، 2016، ص 122.

خاتمــة:

من خلال معالجتنا للإشكالية والمشكلات المتضمنة فيها، والتي عملنا على معالجتها في ثنايا الفصول ومباحثها توصلنا إلى النتائج التالية:

ففيما يخص فلسفه التربية عند **جون ديوي** برزت رؤيته البراغماتية، فبحث في مناهج وطرق وميادين وتأثيرات التربية من اجل صناعة التغيير ومواكبة التطورات التي تحدث في المجتمع نتيجة تقدم العلمي والصناعي.فنظرته الفلسفية هذه تكشف عن رفضه للفلسفات التربوية التقليدية المكبلة بالنظرة الأحادية والسكونية التي تؤمن بالثبات وترفض التغيير والتجدد والاستمرارية .

كما اتضح أن فلسفته التربوية متميزة بطابعها العملي فهي لا تخرج عن النسق **البراغماتي** فهي تركز على فلسفة الخبرة ، فالخبرات حسب **ديوي** ما هي إلا أداة للتربية للوصول لتجاوز

المشكلات التي تقف أمام تطور الإنسان في استغلال ماضيه والتفاعل مع حاضره ومواكبة مستقبله وبالتالي تنمية شخصية فعالة في المجتمع .

أما فيما يخص تأثره بسابقيه رافضا كان أو مؤيدا، فقد عزل عيوبهم واستفاد من محاسنهم وجعلها أدوات لبناء فكره التربوي مثل: **أفلاطون، أرسطو، داروين ،النفعيون ،جان جاك روسو،** فتوصل إلى أن الأفكار أدوات لنتائج نافعة وعملية هذا ما نتج عنه أسلوبه الأداتي.

في فلسفة **جون ديوي** التربوية، لعبت المشكلة الأخلاقية دورًا مهمًا في المنهج التعليمي.

يرى **ديوي** أن التربية تهدف إلى تنمية الطلاب بشكل كامل، لا فقط بنقل المعلومات لهم. ومن هذا المنطلق، يؤمن ديوي بأنه من المهم جدًا تعليم الطلاب المبادئ الأخلاقية الصحيحة، وتشجيعهم على النظر إلى الأمور بأبعادها الأخلاقية. وهو يرى أن المبادئ الأخلاقية تساعد الطلاب على اتخاذ القرارات الصحيحة في الحياة، وتمكنهم من العيش بشكل أفضل في مجتمعاتهم .وبالإضافة إلى ذلك، يرى ديوي أن المشكلات الأخلاقية تدخل في العديد من المناقشات التعليمية والمواضيع المتعلقة بالتعليم. وهو يؤمن بأن تعليم الطلاب المسؤولية الاجتماعية وتعزيز القيم الأخلاقية يمكن أن يساعد في بناء مجتمع أفضل وأكثر تقدمًا. ومن هذا المنطلق، فإن المشكلة الأخلاقية تأخذ منحىً محوريًا في فلسفة جون ديوي التربوية.

كما أن **ديوي** جعل من الأخلاق ميدان مرتبط بالمجتمع من جهة أن السلوك الإنساني ثمرة تفاعل الإنسان مع بيئته ،ومن جهة أخرى بالمدرسة بوصفها تنتمي لهذا المجتمع واعتبرها ركيزة لإرساء المبادئ الأخلاقية.

إن **ديوي** قد ثار تماما على أنقاض التصورات المثالية في موقفه من الأخلاق، فقد تجاوز الرؤية المتعالية للأخلاق وحاول ربطها بأرض الواقع المعيش، وأكد أن النظريات الأخلاقية التربوية السابقة عيبها هو اصطباغها بالصبغة المثالية المجردة، والتي أثمرت مجتمعا يعيش في الوهم والخيال أكثر من عيشه في واقعيته الخاصة.

أكد **جون ديوي** أن العمليات الأخلاقية في تغير وتطور مستمر وهذا راجع للتغيرات التي تطرأ على المجتمع وهنا نلحظ مخلفات النظرية التطورية لداروين. فهي هذا تأثير عميق على معرفتنا وممارستنا للحياة. ومن وجهة نظره، فإن الأخلاق تتطور وتتغير مع المجتمعات والثقافات، وهي تتأثر بالعديد من العوامل مثل العلوم والتكنولوجيا والتغييرات الاجتماعية، وقد يتغير مفهوم الأخلاق مع التغيرات التكنولوجية التي تحدث في المجتمعات. وبالتالي، فإن جون ديوي يرى أن الأخلاق تتطور وتتغير مع التغيرات الاجتماعية والتكنولوجية، وهي ترتبط بشكل وثيق بتطوير المجتمعات وتقدمها ورقيها.

ينتهي بنا المطاف إلى أن فلسفة **جون ديوي** التربوية وبعدها الأخلاقي كانت لها بصمة لا يمكن تجاوزها، من خلال فتح المجال لفلسفة ورجال التربية والأخلاق كباحثين ومفكرين متتبعين لمستجدات وتغيرات الواقع ، فيلمسون الحاجة لإعادة تجديد مناهج التربية والتعليم وإعادة بنائها بما يواكب التطور وروح العصر خاصة ونحن في عصر المعرفة والعلم والمعلوماتية.

القرآن الكريم

التفاسير

1. تفسير إبن كثير، دار الفكر، بيروت، لبنان، ج3 .
2. الطاهر ابن عاشور، تفسير التحرير والتنوير، الدار التونسية للنشر،دط ، 1987 ،ج 26

المصادر:

1. جون ديوي ،البحث عن اليقين، تر: أحمد فؤاد الأهواني، المركز القومي للترجمة، الجزيرة ، القاهرة ، 1958.
2. جون ديوي، الخبرة والتربية، تر: محمد رفعت رمضان، مكتبة الأنجلو المصرية،دط، دس.
3. جون ديوي، الديمقراطية والتربية، تر: منى عفراوي، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر،القاهرة، 1946.
4. جون ديوي، الطبيعة البشرية والسلوك الإنساني، تر محمد لبيب النجيحي، تصدير محمد مدين، سلسة ميراث الترجمة، العدد 2681 ، القاهرة ، 2015 .
5. جون ديوي، الفن خبرة، تر: زكرياء إبراهيم، مراجعة زكي نجيب محمود، الهيئة المصرية العامة للكتاب، سلسلة ميراث الترجمة، العدد1822،الجزيرة ، القاهرة،2011.
6. جون ديوي، المبادئ الأخلاقية في التربيه، تر:عبد الفتاح السيد هلال، الدار المصرية للتأليف والترجمة.
7. جون ديوي، المنطق نظرية البحث، تر: زكي نجيب محفوظ، الناشر مؤسسة هنداوي، دط،2022.
8. جون ديوي، تجديد في الفلسفة، تر أمين مرسي قنديل، زكي نجيب محمود ، مكتبة الأنجلو المصرية، دط، دم،1947.

المراجع:

باللغة الأجنبية:

1. George Santayana, Dewey's Naturalistic Metaphysics, The Journal of Philosophy, Volume 22, Issue 25, December 1925, P 673-688.
2. Stephen Carden, Virtue Ethics: Dewey and MacIntyre, Bloomsbury, 2006, P 144
3. An Ethics for Today: Finding Common Ground Between Philosophy and Religion

باللغة العربية:

1. أبو حامد الغزالي، إحياء علوم الدين، دار ابن حزم مكتبة الامام، ط1 ، 2005 .
2. احمد فؤاد الأهواني، جون ديوي، نوابغ الفكر الغربي ، دار المعارف ، كورنيش النيل، القاهرة، ط3 ،1968 .
3. ألاسدير ماكنتاير: بعد الفضيلة، بحث في النظرية الأخلاقية ، تر: حيدر حاج اسماعيل ، توزيع مركز دراسات الوحدة العربية ، بيت النهضة ، بيروت ، لبنان ،ط3، 2013.
4. أنطونيو الخوري، أعلام التربية "حياتهم وأثارهم"(دط) ، دار الكتاب اللبناني، بيروت، 1964 م
5. بول منرو، صالح عبد العزيز ، المرجع في التاريخ التربية ، ط .2022 ، دار الكتب المصرية، مصر.

6. توفيق الطويل، فلسفه الأخلاق نشأتها وتطورها، دار الثقافة والتوزيع، القاهرة، ط4، 1995.
7. جيمس. س. روس ، تر: صالح عبد العزيز، الأسس العامة لنظريات التربية، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، 1949، دط.
8. حسين عبد الحميد احمد رشوان، التربية والمجتمع، دراسة في علم اجتماع التربية، مؤسسة شباب الجامعة الإسكندرية، 2010.
9. رالف ن وين، قاموس جون ديوي التربية، تر، محمد العريان، مكتبة انجيلو المصرية، القاهرة، 1964م.
10. زكي نجيب محفوظ، من زاوية فلسفية، دار الشروق، ط4، القاهرة ، 1993 .
11. سعيد إسماعيل علي ، التربية في الحضارة اليونانية ، دار علم الكتب ، القاهرة.
12. شبل بدران، احمد فارق محفوظ ، أسس التربية، ط5، دار المعرفة الجامعية ، الإسكندرية، 2005
13. شبل بدران، احمد فاروق محفوظ، أسس التربية ، دار المعرفة الجامعية،دط ، سنة 2000،
14. شيريل ميساك، البراغاماتيون الامريكيون، تر: جمال شرف، ط1، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، الدوحة، 2000،
15. عبد الغاني محمد إسماعيل العمراني، أصول التربية، دار الكتاب الجامعي، ط2، صنعاء اليمن، 2014.
16. عبد الله رشدان، نعيم جعنيني، المدخل إلى التربية والتعليم، دار الشروق للنشر والتوزيع، ط1،عمان، الأردن،1994.
17. عبد الله عبد الدايم، التربية عبر التاريخ من العصور القديمة حتى أوائل القرن العشرين، دار العلم للملايين، ط1، بيروت، لبنان، 1973 .
18. عطيات أبو السعود، الحصاد الفلسفي في القرن العشرين، مؤسسة هنداوي، دط، مصر، 2021 .
19. عمر احمد همشري، مدخل إلى التربية، ط2، دار صفاء للنشر والتوزيع، عمان 2007.
20. عمر محمد التومي شيباني، تطور النظريات والأفكار التربوية، دار الثقافة، بيروت، دط، 1981.
21. فؤاد زكريا، إعلام الفكر الفلسفي المعاصر ، دار الجمل ، بيروت ، ط1، 1993 .
22. فؤاد كامل، إعلام الفكر الفلسفي المعاصر، دار الجيل، بيروت، ط1، 1993 .
23. كريستوفر باتلر، ما بعد الحداثة، تر: نيڤين عبد الرؤوف، مؤسسة هنداوي، دط، مصر، 2016.
24. كفاء صالح العسكري، الغزالي وجون ديوي ونظرتهما للطبيعة الإنسانية ، مرجع سابق.
25. مجلة الهلال، جرجي زيدان، مجلة ثقافية شهرية عربية ، دار الهلال، العدد 71،مصر، الجزء 1.
26. محمد الطيطي وآخرون ، مدخل إلى التربية ، دار المسيرة ، عمان، ط1 ،2002
27. محمد جديدي، فلسفة الخبرة، جون ديوي أنموذجا،المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر،ط1، 2003.
28. محمد حسن العمايرة، أصول التربية التاريخية والاجتماعية والنفسية والفلسفية، دار النشر للمسيرة والتوزيع ، ط2، عمان، دس.

29. محمد سلمان الخزاعلة، أصول التربية ومبادئها، دار صفاء، ط1، المملكة العربية السعودية، 2012.
30. محمد عبد الستار نصار، دراسات في فلسفة الأخلاق، دار القلم، ط1 ،الكويت ،1982 .
31. محمد محمود الخوالدة، فلسفات التربية التقليدية والحديثة المعاصرة، دار المسيرة للنشر والتوزيع والطباعة، دس.محمد محمود الخوالدة، فلسفات التربية التقليدية والحديثة المعاصرة، دار ميسرة للنشر والتوزيع ، دط، دب،الأردن، عمان.
32. محمد منير مرسي ، فلسفة التربية اتجاهاتها ومدارسها ،عالم الكتب ، القاهرة، 1995.
33. مصعب قاسم العزابي، تر: مجموعة مترجمين ، دار الاكاديمية،، ط1، لندن، 2021.
34. منصور المحمداوي: أفكار معاصرة، دار الفكرة، بيروت ، ط1، 1999.
35. نعيمة شومان، المجتمع والدولة، دار الفرابي، ط1، بيروت ، 2011 .
36. نوري جعفر، جون ديوي، حياته وفلسفته، مطبعة الزهراء، بغداد، د س، دط .
37. وائل عبد الرحمان التل، أحمد محمد شعراوي، أصول التربية : الفلسفية والإجتماعية والنفسية، ط2، دار الحامد، عمان، الأردن، 2007 .
38. ويل ديوارنت ، قصة الفلسفة من أفلاطون إلى جون ديوي، تر، فتح الله المشفع، بيروت، مكتبة المعارف، د ط، 1988 .
39. يحي طالح العسكري الغزالي وجون ديوي، نظرتهما للطبيعة الإنسانية إصدارات لجنة البحث والدراسة في التراث النفسي العدد 2 .
40. يعلي الحفناوي، استقبال النظريات النقدية في الخطاب العربي المعاصر، دار اليازوري العلمية للنشر، 2020
41. يوسف كرم، تاريخ الفلسفة الحديثة، دار العالم العربي، ط١، القاهرة، 2011 .
42. يوسف كرم، تاريخ الفلسفة الحديثة، لجنة التأليف والترجمة والنشر، ط6، 1972م.

الموسوعات والقواميس والمعاجم:

باللغة الفرنسية:

1. موسوعة ستانفورد للفلسفة: https://plato.stanford.edu/entries/sidney-hook

باللغة العربية:

1) ابن منظور لسان العرب، تحقيق عبد الله علي كبير وآخرون، دار المعارف، القاهرة،الجزء 3، دس.
2) ابن منظور، لسان العرب، ج1، دار صادر، ط1، بيروت، 1990 .
3) اندري لالاند، الموسوعة لالاند الفلسفية، المجلد الأول، منشورات عويدات، بيروت، باريس، ط2 ،2001 جميل صليبا، المعجم الفلسفي، ج1، دار الكتاب اللبناني، بيروت، 1982.

الرسائل الجامعية والمقالات:

1) زهية مناصري، الأخلاق عند جون ديوي، مذكرة ماجستير، تخصص فلسفة، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، الجزائر، 2006-2007.
2) بشار مالك سليمان الفلسفة جون لوك، وإبعادها التربوية 2015 دراسة تحليلية وصفية أعدت لنيل درجة الماجستير في أصول التربية. "كلية التربية ، جامعة دمشق .
3) محمد جديدي، الحداثة وما بعد الحداثة في فلسفة ريتشارد رورتي اطروحة دكتوراه، جامعة منتوري قسنطينة، 2006.

✍ الدوريات والمجلات :

1) عبد الله قلي وفضيلة حناش، التربية العامة، سند التكوين المتخصص المعهد الوطني للتكوين مستخدمي التربية وتحسين مستواهم، الجزائر، 2009 .

محمد مصطفى أحمد البيومي، فلسفة بنتام النفعية دراسة نقدية في ضوء الإسلام، كلية الآداب، جامعة طنطا، مصر،مجلة علمية ربع سنوية محكمة، العدد27، ج1.

فهرس الموضوعات

- إهداء ..... /
- شكر وعرفان ..... /
- مقدمة ..... أ-ه

الفصل الأول : من التربية كمقصود إلى نظرية فلسفية

❖ **مدخل مفاهيمي** 09
3. المدلول اللغوي للتربية 09
4. المدلول الاصطلاحي للتربية 09
❖ **المبحث الأول : كرونولوجيا التربية** 15
- المطلب الأول : التربية وأهدافها في المجتمعات البدائية 15
- المطلب الثاني : التربية وأهدافها في الثقافات التاريخية الأولى (الصين أنموذجا) 17
- المطلب الثالث : التربية وأهدافها في الثقافة اليونانية القديمة 19
- المطلب الرابع : التربية وأهدافها في العصر الوسيط 22

أ- التربية عند المسيحيين 22
ب- التربية عند العرب (قبل الإسلام وفي عهد الإسلام) 26
❖ **المبحث الثاني : التربية من منظور فلسفي** 31
- المطلب الأول : الفلسفة المثالية (أفلاطون أنموذجا) 31
- المطلب الثاني : الفلسفة الواقعية (جون لوك أنموذجا) 35
- المطلب الثالث : الفلسفة الطبيعية (جون جاك روسو أنموذجا) 38
- المطلب الرابع : الفلسفة الوجودية (جان بول سارتر أنموذجا) 43
- المطلب الخامس : الفلسفة البراغماتية (جون ديوي أنموذجا) 47

الفصل الثاني : مبادئ التربية الديوية

❖ **المبحث الأول : التوجه الفكري عند ديوي** 57
- المطلب الأول : النظرية الداروينية 57
- المطلب الثاني : النظرية السيكولوجية 61
❖ **المبحث الثاني : مباحث ديوي التربوية** 66
- المطلب الأول : الكون 66
- المطلب الثاني : الإنسان 67
- المطلب الثالث المعرفة 69
❖ **المبحث الثالث : مبادئ ديوي التربوية** 75
- المطلب الأول الخبرة بنوعيها 75

أ- الاستمرار 81
ب- التفاعل 83
- المطلب الثاني : الحرية 87

الفصل الثالث : الأخلاق في فلسفه ديوي التربوية

❖ **المبحث الأول :** التأسيس الأخلاقي في الفلسفة التربوية 93
- المطلب الأول : مفهوم الأخلاق 93
- المطلب الثاني : أهم التصورات الفلسفية للأخلاق وموقف ديوي منها 96

❖ **المبحث الثاني : بعنوان الأخلاق الديوية**.....103
- المطلب الأول: طبيعة القيمة الأخلاقية.....103
- المطلب الثاني : الأخلاق الاجتماعية.....108
- المطلب الثالث الأخلاق المدرسية.....109

❖ **المبحث الثالث: أهم الانتقادات والامتدادات لفلسفه جون ديوي التربوية وتوجهها الأخلاقي**.....113
- المطلب الأول : **أهم الانتقادات لفلسفة جون ديوي التربوية وتوجهها الأخلاقي**.....113
- المطلب الثاني : **امتدادات فلسفه جون ديوي التربوية وتوجهها الأخلاقي**.....115

خاتمة : 123

قائمة المصادر والمراجع.....125

فهرس الموضوعات.....130